حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة

حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة

تأليف/ حسام الحداد

طبعة 2019م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر ،وعلامتها التجارية (شخابيط)

24 شارع غزة _ المهندسين _ الجيزة

تليفون : 01145004994 2+ _ 0233031633 2+

info@sha5abet.com

إن شركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر ،وعلامتها التجارية (شخابيط)

غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه

الغلاف: أحمد شاكر

اخراج فنى : عمرو محمد

المدير العام : د.سامح شاكر

رقم الايداع: 2019/13536

I.S.B.N 978-977-6690-99-8

حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة

حسام الحداد

إهداء

إلى..

بتول الحداد، وأمينة عبد الله

صاحبات الفضل في إنتاج هذا الكتاب

لكل الذين ساهموا في إنتاج المعرفة قديما وحديثا

المقدمة

يتناول هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة التي كانت في وقت ما مركزًا للإشعاع الحضاري والثقافي للعالم القديم، تلك المكتبة التي أسست للعلم الحديث في شتى فروع المعرفة وكانت منارة يهتدي العالم بها في مجالات شتى، وتحكي تاريخ عصرين من عصور الاحتلال الأجنبي هما: العصر البطلمي والعصر الروماني؛ إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر واختفى دور المكتبة من التاريخ. وأطلق المؤرخون على العصر الذي ظهرت فيه مكتبة الإسكندرية العصر الهيلينستي، وهو عصر ذو ملامح محددة تختلف عن ملامح العصور السابقة عليه؛ فقد انصهرت الحضارات الشرقية مع الحضارة الإغريقية في بوتقة واحدة وتولدت حضارة جديدة هي الحضارة الهيلينستية، وهي حضارة ليست غربية ولا شرقية، بل إنها جمعت ما بين الشرق والغرب في تناغم جميل يعكس الأفكار التي سادت المكتبة وعلمائها في المساواة بين البشر، وبذل الجهود المضنية للتقريب بين الشرق والغرب.

كان هذا العصر غنيًا بالتفاعلات الحضارية والسياسية بين مصر وكافة المناطق الأخرى انطلاقًا من الإسكندرية العاصمة ومكتبتها التي كانت تمثل مركز العلم والمعرفة في هذا العصر، وقد استمر هذا التفاعل الحضاري بين مصر وجاراتها طوال العصر البطلمي. وكان لمصر دورها المؤثر حتى في فترات الضعف، وتجلى ذلك في عهد الملكة كليوباترا السابعة التي يعد عهدها بمثابة صحوة الموت للدولة البطلمية. وفي عام 30 ق.م سقطت هذه الدولة وأصبحت مصر ولاية رومانية، وعلى الرغم من ذلك فإنها كانت ولاية متميزة بين ولايات الإمبراطورية الرومانية، وكان من أهم أسباب تميزها وجود مكتبة الإسكندرية وجامعتها التي نتناول الحديث عنهما بين طيات هذا الكتاب والتي كانت مركزًا لنشر العلوم والفنون والآداب في هذه الفترة التاريخية.

ورغم أن مصر كانت تحت الاحتلال البطلمي وبعده الروماني إلا أن الإسكندر الأكبر منذ أن وطئت قدماه أرض مصر، قال إنه ابن الإله آمون، وتشبه بالفراعنة وحمل ألقابهم، وسار على دربه خلفاؤه من البطالمة. وكانت كليوباترا السابعة حريصة على أن تتشبه بالربة المصرية إيزيس، وقد سار الأباطرة الرومان علي نفس النهج وحرصوا على أن يتم تصويرهم على جدران المعابد المصرية في هيئة الفراعنة، بل إن بعضهم سارع ببناء معابد للآلهة

المصرية في روما ذاتها، ولم يكن هذا الانبهار بمصر على المستوى الرسمي فقط، بل على مستوى الأفراد أيضًا؛ فمن المعروف أن بطليموس الأول فتح أبواب مصر على مصراعيها أمام الأجانب للاستقرار في مصر خاصة الإغريق، ولم يلبث هؤلاء الأجانب أن عبدوا الآلهة المصرية وتعلموا اللغة المصرية، ومن ناحيتهم فإن المصريين لم ينغلقوا على أنفسهم بل أقبلوا على الحضارة الإغريقية، وانصهر المصريون والإغريق في بوتقة واحدة، ومع ازدياد حالات التزاوج بين الفريقين أصبحت التفرقة بين المصريين والإغريق أمرًا شديد الصعوبة.

الكتاب الذي بين يدي القارئ الآن ينقسم إلى: مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، ويعد التمهيد بمثابة فصل من فصول هذا الكتاب حيث يتناول مكتبة الإسكندرية القديمة من خلال نظرة عامة بداية من إنشائها على يد ديمتريوس الفاليري واقتناء مجموعات الكتب وتقسيم المكتبة وإنشاء جامعتها، والسر في عظمة هذه المكتبة وشهرتها في العصر البطلمي والعصر الروماني وأمناء المكتبة. أما الفصل الأول فينطلق من الإسكندرية ويشمل: نشأتها، وتأسيسها، والمجتمع السكندري وتنوعه في العصر البطلمي والعناصر المكونة لهذا المجتمع حيث كان ينقسم السكان إلى: إغريق ويهود ومقدونيين

ومصريين، بجانب بعض الجاليات الإفريقية والآسيوية، كذلك كيفية تقسيم أحياء المدينة.

يتناول الفصل الثاني: الحديث عن مكتبة الإسكندرية القديمة وجامعتها وعلمائها بداية من تأسيس المكتبة والأبعاد الحضارية لها، ونبذة عن أشهر علماء المكتبة في العصر البطلمي والروماني وما قدمه هؤلاء العلماء من إنجاز في شتى فروع المعرفة بداية من إقليدس إلى هيباشيا. أما الفصل الثالث من هذا الكتاب فيتناول: البذور الأولى للعلم الحديث وبدايات تأسيس شتى العلوم الحديثة في مكتبة الإسكندرية القديمة، والدور الذي قامت به المكتبة في المزج الثقافي بين الحضارات واستقلال العلم، ثم الروافد الفلسفية والعلمية للتراث الثقافي في مدرسة الإسكندرية. ويأتي الفصل الرابع من هذا الكتاب للحديث عن حريق مكتبة الإسكندرية وزوالها من خلال ثلاث روايات تؤكد حريق المكتبة أكثر من مرة عبر تاريخها.. بداية من الحريق الذي نشب في الميناء الشرقي عام 48 ق.م على يد يوليوس قيصر وامتد إلى المكتبة وأتلف جزءًا منها، ثم الحريق الثاني على أيدي البطاركة الرومان عام 399م؛ وكان المقصود به الحرب ضد الوثنية مما أتلف جزءًا كبيرًا من مكتبة الإسكندرية القديمة، إلا أن هناك روايات تؤكد أن فناء المكتبة فناء تامًا كان على يد عمرو بن العاص بعدما دخل الإسكندرية وأمر بإحراق مكتبتها.. وسوف نتناول تلك الروايات بالتفصيل في حينه.

المعرفة كانت هنا..

مكتبة الإسكندرية القديمة

تمهيد:

وصف كارل ساجان عالم الفلك الأمريكي لمكتبة الإسكندرية القديمة:

"كانت المكتبة الأسطورية عقل ومجد أعظم مدينة على الكوكب، وأول مركز للأبحاث العلمية في تاريخ العالم.

عاش في هذا المكان مجتمع من العلماء يستكشفون آفاق علوم الفيزياء واللغويات والطب والفلك والجغرافيا والفلسفة والرياضيات والبيولوجيا والهندسة. هنا في مكتبة الإسكندرية تجمعت أول محاولات جادة لمعرفة العالم"(1).

المكتبة:

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة حصيلة جهد بطولي سجله تاريخها. قام بإنشائها ديمتريوس الفاليري -سياسي وفيلسوف اثيني زامل الإسكندر في دراسته على يد أرسطو في مدرسة المشائين الفلسفية- بتكليف من بطليموس الأول «سوتر».

بدأ ديمتريوس الفاليري باقتناء مجموعات من الكتب عن إدارة الممالك من جميع أنحاء العالم، كما حرص بطليموس الأول أن يكون المكان مقرًا لحوارات الفلاسفة المشائين في مجالات الرياضيات والطب والفلك والهندسة. وتقول الموسوعة البريطانية: "إن أغلب المكتشفات الغربية في مجالات العلم قد تمت دراستها ووضع أسسها في مكتبة الإسكندرية على مدى 600 عام"(2).

كان هناك مكتبتان على الأقل: إحداهما في القصر الملكي، والأخرى في السرابيوم (معبد الإله سرابيس).

وكان هناك قاعة ضخمة للأكل، وكان يتوسط المتحف مرصد وتحيطه قاعات للدراسة. ويقدر عدد القائمين بالدراسة في المتحف في كل وقت بحوالي 20-50 دارسًا كانت تقوم بأودهم الأسرة المالكة.

كان أول رؤساء المكتبة هو ديميتريوس الفاليري، الذي ترك أثينا عام 300 ق.م وهرب إلى الإسكندرية، ثم هرب منها أيام بطليموس الثاني.

وكانت أول مهام ديميتريوس الفاليري -كما كلفه بطليموس الأول- هي جمع الكتب وترجمة ما كان منها بلغة أجنبية. وكان من أوائل أعمال الترجمة هي ترجمة التوراة (العهد القديم) إلى اللغة اليونانية من اللغة العبرية، وتم ذلك بعزل 72 راباي يهودي لمقارنة ترجمة بعضهم ببعض؛ ولذلك أطلق على هذه الترجمة اسم السبعينية.

سر عظمة وشهرة مكتبة الإسكندرية القديمة

ترجع شهرة مكتبة الإسكندرية القديمة (ببلتيكا دي لي إكسندرينا) إلى أنها أقدم مكتبة حكومية عامة في العالم القديم؛ وليس لأنها أول مكتبات العالم، فمكتبات المعابد الفرعونية كانت معروفة عند قدماء المصريين ولكنها كانت خاصة بالكهنة فقط، والبطالمة أنفسهم الذين أسسوها كانوا يعرفون المكتبات جيدًا. كما ترجع عظمتها أيضًا إلى أنها حوت كتب وعلوم الحضارتين الفرعونية والإغريقية، وبها حدث المزج العلمي والالتقاء الثقافي الفكري بعلوم الشرق وعلوم الغرب، فهي نموذج للعولمة الثقافية القديمة التي أنتجت الحضارة الهلينستية حيث تزاوجت الفرعونية والهلينية. وترجع عظمتها أيضًا إلى عظمة القائمين عليها؛ حيث فرض على كل عالم يدرس بها أن يدع بها نسخة من مؤلفاته، ولأنها أيضًا كانت في معقل العلم ومعقل البردي وأدوات الكتابة (مصر) حيث جمع بها ما كان في مكتبات المعابد المصرية وما حوت من علم أون. وأخيرًا، وليس آخر.. تحرر علمائها من تابو السياسة والدين والجن والعرق والتفرقة، فالعلم فيها كان من أجل البشرية، فالعالم الزائر لها أو الدارس بها لا يسأل إلا عن علمه لا عن دينه ولا قوميته.

الحكماء:

فاق عددهم المائة في أكثر فترات المكتبة تألقًا، فكانوا ينقسمون إلى فريقين حسب التصنيف الذي وضعوه هم بأنفسهم (الفيلولوجيون والفلاسفة):

كان الفيلولوجيون يدرسون النصوص والنحو بكل تعمّق؛ فبلغت الفيلولوجيا مرتبة كبرى العلوم، فكان لها اتصال بعلم التاريخ والمثيوغرافيا. بينما يدرس الفلاسفة بقية العلوم سواء كانوا مفكرين أو علماء.

ومن بين أجيال العلماء الذين تعاقبوا على مكتبة الإسكندرية وعملوا بها الساعات الطوال للدراسة والتمحيص، عباقرة حفظ التاريخ أسماءهم مثل: أرخميدس (مواطن سيراقوسة)، وطوّر بها إقليدس هندسته، وشرح هيبارخوس للجميع حساب المثلثات وطرح نظريته القائلة بجيومركزية العالم فقال: إنّ النجوم أحياء تولد وتتنقّل لمدة قرون ثمّ تموت في نهاية المطاف، بينما جاء أريستارخوس الساموسي بالأطروحة المعاكسة أي نظرية الهليومكزية (وهي القائلة بحركة الأرض والكواكب الأخرى حول الشمس، وذلك قبل كوبرنيكوس بعدّة قرون).

نجد كذلك ومن بين جملة العلماء الذين عملوا في المكتبة: إراتوستينس الذي ألّف جغرافيّة وأنجز خريطة على قدر كبير من الدقة، وهيروفيلوس القلدوني وهو عالم وظائف استنتج أنّ مركز الذكاء هو الدماغ وليس القلب.

كما كان من روّاد المكتبة الفلكيون: طيمقريطس وأرسطيلو وأبولونيوس البرغامي وهو رياضي معروف، وهيرون الإسكندراني مخترع العجلات المسنّنة وآلات بخارية ذاتية الحركة وصاحب كتاب (أفتوماتكا) وهو أول عمل معروف عن الروبوتات.

وعمل في مرحلة لاحقة وحوالي القرن الثاني في نفس المكان الفلكي كلاوديوس بطليموس، وعمل بالمكتبة أيضًا غالينوس الذي ألّف أعمالًا كثيرة حول فن الطب والتشريح. ومن آخر أعلام الموسيون نجد امرأة تدعى هيباتيا أو هيباشيا وهي رياضية وفلكية، كانت لها نفس مأساوية وميتة شنيعة على أيدي بعض الكهنة المسيحيين.

التوسعة:

إنّ المكتبة كانت جزءًا من الموسيون ولكنها وفي مرحلة لاحقة اكتسبت أهمية وحجمًا كبيرين؛ وبالتالي أصبح من الضروري إنشاء ملحق على مقربة منها.

يعتقد أن الملحق أو «المكتبة الوليدة» أنشئت بأمر بطليموس الثالث إفيرغيتيس، حيث أنشئ هذا الملحق على هضبة حي راكوتيس (والمعروف اليوم بحي كرموز) في مكان من الإسكندرية بعيدًا عن شاطئ البحر في معبد قديم شيّده البطالمة الأوائل للإله سيرابيس وسمي السرابيوم.

استطاعت هذه المكتبة الصمود وعبور القرون مكتسبة كسابقتها شهرة وأهمية كبيرتين في شتى أرجاء العالم. وقد حافظ الأباطرة الرومان، فيما بعد، على المكتبة وطوّروا تجهيزاتها بنظام تدفئة مركزية بمد أنابيب عبر الحوائط وذلك للحفاظ على جفاف الجو داخل المستودعات الأرضية.

أمناء المكتبة:

جمع ديمتريوس الفاليري اليوناني نواة مكتبة الإسكندرية وهو في بلاد اليونان، كما يمكن أن يطلق عليه مؤسس فكرة المكتبة.. ولو أن هذا الشرف أو أكثر منه ينبغي عدلًا أن ينسب إلى الملكين الأول والثاني من البطالمة. إذ كان بطليموس الأول (سوتيو) هو الذي أمر بتأسيس المكتبة وتنظيمها على نفقته، ثم أكمل ذلك خلفه بطليموس الثاني (فيلادلفوس)؛ ومن ثم ينبغي أن

نقول إن مكتبة الإسكندرية هي بمثابة إنجاز مشترك لسوتر وفيلادلفوس وديمترويوس.

ومما لا ريب فيه أن أمناء مكتبة الإسكندرية لقوا من أنواع التعب المكتبية مثلما يلقي الأمناء في المكتبات الجامعية الحديثة، إذ كان من الصعب التوفيق بين ما يطلبه عامة القراء والمتخصصون بتوزيع الكتب بين المكتبة الأم والمكتبات المتخصصة.

كان زينودوتوس الأفيسي على الأرجح هو أول أمين للمكتبة. وكان على رأس الأشخاص الذين خدموا بالمكتبة ديمتريوس الفاليري (حوالي 284 ق.م)، وزينودوتوس الأفيسي (284-260ق.م)، وكاليماخوس البرقاوي (260-240 ق.م)، وأبوللونيوس الرودسي (240-235ق.م)، وإراتوستثيس البرقاوي (235-195ق.م)، وأريستوفانيس البيزنطي (195-180 ق.م)، وأبوللونيوس إيدوجرافوس (180-160ق.م)، وأريستارخوس الساموتراقي (160-145ق.م).

1– نشأة العلم في مكتبة الإسكندرية/ سمير حنا صادق – دار العين للنشر 2002.

2– المصدر السابق.

الفصل الأول

الإسكندرية القديمة.. نظرة عامة

أسست الإسكندرية لا لتكون عاصمة للدولة الوليدة فحسب، بل لتكون مدينة عالمية، وذلك للمرة الأولى من نوعها(1) لقد عهد الإسكندر الأكبر بتخطيط المدينة إلى بينوكراتيس الروديسي الذي كان أعظم المهندسين المعماريين في عصره، إذ ينسب له العديد من الإنجازات المعمارية والفنية الضخمة مثل: تصميمه لمعبد ارتميس بمدينة أفسوس، وتصميمه للتمثال الضخم الذي نحت للإسكندر في إحدى قمم جبل آثوس(2).

تتفق المصادر على أن مدينة الإسكندرية قد بنيت على مساحة ضيقة من الأرض، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب بحيرة مريوط، ويتوسطها طريقان كبيران أحدهما أطول من الآخر: والأطول كان يسمى الطريق الكانوبي ويمتد من الشرق إلى الغرب، والطريق الأقل طولًا يقع عموديًا عليه، وقد كان مركز المدينة يقع عند تقاطع هذين الطريقين، وكانت الشوارع الأخرى موازية لهذين الطريقين بما يشبه تقسيم رقعة الشطرنج.

قسمت المدينة إلى أربعة أحياء حسب تقاطع الطريقين الرئيسين فيها وسميت هذه الأحياء الأربعة بالأحرف اليونانية الأولى، وكان أبعد هذه الأحياء يقع في الغرب وكانت غالبية سكانه من المصريين، وكان الحي الشمالي الشرقي حي اليهود، أما الحي الجنوبي الشرقي فقد احتوى على القصر الملكي والمتحف والمكتبة ومقابر البطالمة وضريح الإسكندر ودار الصناعة البحرية والكثير من الحدائق الفسيحة(3) فكانت الإسكندرية خليطًا من الأجناس المختلفة.

وقد كان اختيار الإسكندر لهذا الموقع لبناء مدينته الجديدة لعدة أسباب، وربما كان متأثرًا (كما هو الاعتقاد السائد حديثًا) بما وجده من تشابه بين هذا الموقع وموقع مدينة صور؛ حيث أراد لمنشآته الجديدة أن تبلغ ما بلغته صور من الأهمية التجارية والبحرية، على أن الإسكندرية كانت ذات مزايا حقيقية لها قيمتها، كان إنشاء الموانئ العظيمة المعروفة في العصور الهيلينية لا يتم إلا بعد القيام بأعمال كثيرة واسعة النطاق، ولكن تكوين الساحل الشمالي الغربي لمصر ووجود جزيرة فاروس على مقربة من الشاطئ أثار في نفس الإسكندر فكرة القيام بهذه الأعمال بل سهل تنفيذها، وكان وجود بحيرة مريوط خلف هذا الموقع واتصالها بالنبل مما أتاح فرصة وجود

ميناء عذب المياه سهل الاتصال من جانبي البحر والنهر، ذلك إلى أن نظام التيارات المائية في شرق البحر المتوسط يعرض الموانى الساحلية لأن تسد بالرواسب أما الإسكندرية فلا تعتريها هذه الشائبة، ثم لعل هناك سببًا آخر له طابع سياسي.. فراقودة بلدة متواضعة ليس لها مجد تالد، وإذا فلا يخشى أن تصطدم المؤسسة الهيلينية الجديدة التي تقوم على أنقاضها بأي تقاليد أو نظم موروثة فيها، بل ويرجى لها التقدم في ظل الحضارة والثقافة الهيلينية غير وجلة من وطأة تقاليد وطنية قديمة.

وفوق ذلك فإن تأسيس الإسكندرية جاء نتيجة طبيعية لحملة الإسكندر العامة على الشرق، فبلاد الإغريق خرجت لغزو آسيا كي تفرض عليها عاداتها وديانتها ولغتها، وأصبحت الهيلينية غير محصورة في نطاق بحر إيجه وجزائر بحر الأرخبيل، بل أخذت تتغلغل في الشرق البعيد فلم تعد أثينا قادرة على أن تبقى عاصمة للعالم الجديد الممتد من شواطئ الهند والخليج الفارسي تجتازه تجارة الفرس وبلاد العرب والقوافل الليبية والمراكب الفينيقية، فكان على الإسكندر أن يختار عاصمة جديدة ومرفأ يتسع لهذه المتاجر ويكون خليقًا بمملكته العالمية، وكان الإسكندر بغزوه بلاد الشرق المترامية الأطراف يعتبر نفسه ملكًا شرقيًا وخليفة لملوك الفرس العظام، وكان

ينوي أن يربط تحت لوائه وسلطانه أثينا وبابل وبلاد الإغريق وآسيا المتأغرقة؛ وعلى ذلك وجد من الضروري أن يؤسس مدينة تكون خليقة بعاصمة هذا الملك العريض فيكون موقعها الفذ وسيلة لتحقيق هذا الاتحاد المنشود؛ فاختار الإسكندرية لتقوم بهذا الدور، وكانت مؤسسته في مركز وسيط تقع في وسط البحر الأبيض الهيليني وعلى مسافة متساوية تقريبًا من بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وسوريا، وتصل إليها عن طريق البحر وبحيرة مريوط تجارة ذات شقين: فمن الشمال أسابت تجارتها إلى موانى كل من البحرين الأدرياني والأسود، ومن الجنوب اتصلت عن طريق النيل وخليج العرب بمجاهل إفريقيا وأقاصي آسيا، فهي إذا ميناء مثالية تفد إليها المتاجر من كل صوب في تلك الإمبراطورية الشائعة.

وأخيرًا، كانت الإسكندرية مؤسسة جديدة لا تنتمي إلى أي شعب ولا إلى أي مملكة ولا يتسبب عن قيامها استفزاز لغيرة مدينة أخرى مناهضة، وفيها كان يلتقي الوافدون من أقاصي البلاد المختلفة إغريقية أو غيرها، وفي هذه البوتقة تختلط الشعوب فلا تلبث أن تصبح عنصرًا واحدًا وتصبح المدينة في الوقت نفسه مركزًا تلتقي فيه ثلاث قارات وموطنًا لكل هذه الشعوب.

بعد وفاة الإسكندر اقتسم قواده مملكته، فكانت مصر من اختصاص بطليموس الأول. وكان بطليموس سياسيًا بارعًا يجمع بين الاعتداد بالرأي والدأب في السعي، كان يأخذه العناد حينًا ويتخذ سبلًا مختلفة للوصول لأهدافه، وكان يعمد إلى اتخاذ القوة والحرب كأداة لتحقيق أهدافه التي لا يستطيع الوصول إليها بالطرق السلمية والدبلوماسية، وكان حسن التقدير بعيد النظر فلم يشأ أن ينازع القواد الآخرين فيمن يتولى منصب نائب الملك في حكم الإمبراطورية كلها بل قنع بالاستلاء على مصر الغنية وعمل على أن ينقل إليها جثة الفاتح العظيم الإسكندر وسار بداية على خطة الإسكندر ونهجه؛ فكان يشجع اختلاط اليونانيين بالمصريين، ويولي المصريين بعض الوظائف الرئيسية. ثم غير هذه السياسة وأحل محلها مع المصريين سياسة الفاتح مع المهزومين، وهي السياسة التي احتذاها أخلافه وساروا فيها على طريقتاه إلى أن بدا ضعف ظاهر على ملوك أسرة البطالمة فاضطروا أن ينهجوا نهجًا آخر، فقدموا ترضيات وإعفاءات لرعاياهم من المصريين. ولعل نقل مقر الحكومة إلى الإسكندرية كان العنوان الظاهر الدال على تغيير مجرى السياسة القديمة.

نظرة عامة على المجتمع السكندري:

إن الأبعاد المتعددة التي أعطاها البطالمة لعاصمة ملكهم الجديدة قد ساعدت كثيرًا في تحويل هذه المدينة إلى ملتقى عالمي للعديد من العناصر والجنسيات التي تنتمي لقارات العالم الثلاث المطلة على البحر المتوسط والتي استقر قسم من أبنائها في الإسكندرية، بينما كانت إقامة القسم الآخر عابرة مؤقتة.

لقد أراد البطالمة أن يكون لعاصمتهم مركز دولي في العالم المتأغرق وسلكوا في سبيل تحقيق ذلك كل الطرق التي وجدوها في متناول أيديهم. وهكذا وجدنا أول حكام هذه الأسرة يحرص على أن ينقل جثمان الإسكندر إلى الإسكندرية، وهو يقدم على ذلك رغم قرار مؤتمر بابل الذي حدد مكان دفنه في مقدونيا. وقد كان ضريح الإسكندر دون شك كعبة لسكان العالم المتأغرق، فقد عبد الإسكندر كإله، وعلى أقل تقدير فقد حقق بانتصاره على الإمبراطورية الفارسية في حياته القصيرة ما كان يعتبره اليونان معجزة غير قابلة للتحقيق. ولنا أن نتصور أفواجًا عديدة مستمرة وهي قادمة إلى الإسكندرية من المدن اليونانية وربما غير اليونانية، التي كانت تطل على القسم الشرقي للبحر المتوسط لتحج إلى هذا الضريح الذي يحوي جثمان

الإسكندر، ولقد أصبح الضريح فعلًا أحد المعالم الرئيسية في الإسكندرية، إن لم يكن أهم هذه المعالم.

كذلك كانت الإسكندرية هي المركز الرئيسي لعبادة سرابيس، ولقد انتشرت هذه العبادة خارج مصر بشكل ظاهر بحيث أصبح من المرجح أن البطالمة كانوا يهدفون من وراء تشجيع هذه العبادة إلى هذا الانتشار الخارجى قبل أن يكون غرضهم منها هو التقريب بين الإغريق والمصريين داخل البلاد. وكما كان الحال فيما يخص ضريح الإسكندر، فليس من العسير أن نتصور قدوم أعداد من أتباع هذه العقيدة إلى الإسكندرية في زيارات للمقر الرئيسي لعبادة هذا الإله. إن انتشار عبادة سرابيس في العالم المتأغرق لم يكن انتشارًا سطحيًا بحيث يصبح سرابيس مجرد إله جديد يضيفه سكان هذه المنطقة إلى آلهتهم في عصر درج على تعدد الآلهة، وبالتالي فإن إضافة إله جيد فيه قد لا تعني في كل الأوقات شيئًا كثيرًا، وإنما كان لهذا الانتشار جذور عميقة في الوقت نفسه، فقد كانت عقيدة سرابيس من العقائد القليلة التي تشبث بها الوثنيون وناضلوا لاستبقائها حين بدأت المسيحية تغزو الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

وإذا كان الإغريق يتوافدون على الإسكندرية كمركز أدبي للعالم المتأغرق بسبب ضريح الإسكندرية وعبادة سرابيس، فإن توافدهم على هذه المدينة ازداد بسبب دعامة ثالثة أو ركن ثالث من أركان هذا الوضع الأدبي، وهو جامعة الإسكندرية. وقد كان علماء هذه الجامعة وأمناء مكتبتها ينتمون إلى مناطق عديدة من العالم المتأغرق، فمن بين أمنائها على سبيل المثال نجد أرستوفانيس ينتمي إلى بيزنتيون (بيزنطة)، وارستارخوس ينتمي إلى جزيرة ساموتراتيه، كذلك أبوللودوروس يأتي من أثينة ...إلخ هؤلاء الذين أثروا الفكر والأدب والعلوم في المكتبة، وسيأتي ذكر كل منهم في حينه.

لم يكن مركز الإسكندرية الدولي مقصورًا على البعد الأدبي كما ذكرناه وحسب، بل أيضًا هناك البعد التجاري الذي كانت الإسكندرية مركزًا أساسيًا له في شرق المتوسط.

كذلك تظهر المجموعة المتنوعة من الأجناس التي كانت تغدو إلى الإسكندرية إما بصفة مؤقتة كمبعوثين، أو كأجانب مقيمين. ومن أمثلة النوع الأول أعضاء الوفود الذين كانوا يأتون إلى الإسكندرية من أغلب أنحاء العالم المتأغرق ليحضروا الأعياد أو الاحتفالات التي كانت البطالمة يقيمونها كل أربعة أعوام على نمط أعياد اليانآثيتاية التي كان يقيمها الآثينيون

في أثينة كل أربعة أعوام كذلك. ويوجد الآن في المتحف الروماني في مدينة الإسكندرية عدد من الأواني الجنائزية التي كان يودع فيها رماد الجثث لبعض هؤلاء المبعوثين الذين كان يوافيهم الموت أثناء مقامهم في الإسكندرية

فقد كان من بين الأسباب التي أدت إلى تعدد الأجناس في الإسكندرية بشكل يضفي عليها العالمية اعتماد البطالمة على الجنود المرتزقة بشكل متزايد، فقد كانت الإسكندرية مركزًا لحامية عسكرية كبيرة بحكم أنها العاصمة.

في مثل هذا الوضع نستطيع أن نتخيل شوارع الإسكندرية وهي تغص بعديد من العناصر التي كانت تضم اليونانيين الآتيين من مختلف مناطق البحر المتوسط، والإيطاليين والقيليين والأحباش والعرب والوافدين من الهند وفارس، كما نستطيع أن نتصور المتجول في هذه الشوارع وقد ترامت إلى أذنيه كافة اللهجات واللغات الأوروبية والآسيوية والإفريقية.

العناصر المكونة للمجتمع السكندري:

سوف يقتصر الحديث هنا عن سكان الإسكندرية من حيث وضعهم كفئات أو أقسام دائمة يتكون منها المجتمع السكندري لها حياتها الخاصة، وهنا نجد أن بعض العناصر التي كانت تقيم في الإسكندرية كانت بشكل جاليات لها كيانها الذاتي وتنظيماتها الخاصة وتتمتع بدرجات متفاوتة من

الحقوق والامتيازات، كما كان البعض الآخر من هذه العناصر يعيش في المدينة دون أن يكون لهم هذا الكيان. كذلك كان المنتمون لكل عنصر يقيمون عادة في حي من الأحياء التي كانت المدينة تنقسم إليها. فاليونانيون والمقدونيون مثلًا كانوا يقيمون في الحي الملكي، واليهود في حي الدلتا، والمصريون في حي راقوده (كوم الشقافة) وحي فاروس (رأس التين والأنفوشي).

لم يكن المصريون الذين أقاموا في الإسكندرية يتمتعون بحقوق المواطنة السكندرية، ومن ثم لم يكن لهم كيان محلي خاص من الناحية المدنية، وإنما كانت الصفة الوحيدة لهم هي صفتهم كرعايا بشكل مباشر للحكومة المركزية الممثلة في حاكم المدينة، وقد كانوا عادة من أصحاب الحرف الصغيرة. وقد ظلوا في مجموعهم محافظين على صيغتهم الوطنية بعيدًا عن مؤثرات الحياة والحضارة الإغريقية، ورغم ذلك استطاع أفراد منهم أن يصلوا إلى مراكز اجتماعية ممتازة مثل الكهنة القائمين على عبادة سرابيس، كما كان منهم من شغل بعض وظائف البلاط الملكي في الجزء الأخير من حكم البطالمة(4).

وقد كان أبرز هذه الجاليات المكونة للمجتمع السكندري هم اليونان الإغريق ومن بينهم كانت فئة السكندريين التي كان أفرادها يتمتعون بحقوق

المواطنة الكاملة في كافة المجالات، سواء منها السياسية مثل الاشتراك في المجالس التشريعية، أو الاجتماعية مثل حق امتلاك أراض في المدينة. هذا إلى جانب امتيازات أخرى مثل الإعفاء من أعمال السخرة ومن بعض الضرائب.

وهناك عنصر آخر من السكان وهم اليهود، وقد كان لهم حي خاص يعيشون فيه، وكانت لهم جالية مثل اليونانيين والمقدونيين، وعنصر آخر هو الفرس الذين كانوا يأتون من ناحية الوضع الاجتماعي بعد طائفة اليهود.

1– جورج سارتون: تااريخ العلم – الجزء الرابع – دار المعارف 1970، ص 50.

2– نفس المصدر.

3– نفسه ص 53–54.

4– لطفي عبد الوهاب يحيى– دراسات في العصر الهلنسيتي– ص 328.

الفصل الثاني

جامعة الإسكندرية القديمة وعلماؤها

جامعة الإسكندرية القديمة:

يجمع المؤرخون على أن الإسكندرية كانت موطنًا لأقدم جامعة متكاملة عرفها التاريخ القديم، بينما الحقيقة أنه قد سبقها في مصر ذاتها معهد أو جامعة (أون) القديمة، والتي كانت موطنًا لتعلم الكثير من فلاسفة اليونان القدامى أمثال طاليس وفيثاغورس وديمقريطس وأفلاطون(1). لقد كانت هذه الجامعة من أهم معالم الإسكندرية منذ إنشائها، فقد كان بطليموس الأول والثاني حريصين على نشر الثقافة اليونانية. وأنشئ معهد (الموسيون) بالإسكندرية ليكون نواة لهذه الجامعة المتكاملة التي استهدفت نشر الثقافة اليونانية في العالم الشرقي.

بداية النزعة العلمية في المكتبة:

سترتاتون اللامبساكي تلميذ أرسطو الذي استدعاه بطليموس الأول إلى مصر حوالي عام 300 ق.م ليقوم بمهمة تعليم ابنه وولي عهده حتى عام 294

ق.م، أقام هذه السنين بالإسكندرية ثم عاد بعدها إلى أثينا ليتولى رئاسة (اللوقيون) بعد وفاة ثيوفراسطس.

وقد قام ستراتون أثناء هذه السنوات التي قضاها في الإسكندرية بدور كبير في إضفاء الطابع العلمي على (الموسيون)، إذ لم يكن باستطاعة ديمتريوس الفاليري أو الشاعر فيليتاس أن يقوما بهذا الدور لأن كلا منهما لم يكن مهتمًا بالعلوم، بينما كان ستراتون متفوقًا في فروع المعرفة العامة وفي الطبيعيات على وجه الخصوص.

وقد حاول ستراتون أن يقيم الطبيعيات على أسس تجريبية دون الاستنباط من المسلمات الميتافيزيقية، وليس معنى أنه ركز في أبحاثه على العلم والتجربة أنه تجاهل الأخلاق باعتبارها أحد فروع الفلسفة الهامة؛ لأنه بفضل رئاسته للوقيون كان لابد وأن يهتم بكل فروع الفلسفة.

من كل ما سبق يتضح لنا أن ديمتريوس الفاليري وستراتون قد أسسا (الموسيون) على جناحين هما: الأدب والعلوم، وقد اختلطت هذه الآداب وتلك العلوم بالفلسفة التي كان الاثنان قد درساها وتعلماها في المدرسة الأرسطية (اللوقيون). ومن هنا كانت بداية شرارة عصر العلم في مكتبة الإسكندرية القديمة لتخرج لنا أجيالًا مختلفة في العلم والآداب والفلسفة.

فالمكتبة لم تكن منفصلة عن المعهد (الموسيون)؛ فلقد أنشئت لا لتكون مجرد خزانة كتب بل لتكون أيضًا بمثابة دار نشر الدولة، وقد روعي أن تكون ذات طابع موسوعي يهدف إلى الإحاطة الشاملة بكل شيء وبشتى المعارف، فلو أحضر أي إنسان غريب عن مصر أي كتاب حتى ولو كان غير معروف كان لزامًا عليه أن يقدمه لينسخ منه الناسخون نسخة تضاف إلى مجموعة الكتب الموجودة بالمكتبة(2).

فوجود المؤسستين معًا (المكتبة والموسيون) كان له أكبر الأثر في ازدهار الدراسات الإنسانية ذات الطابع العلمي، كما كان له أكبر الأثر في كثرة اهتمام علماء الطبيعيات بشئون الآداب والدراسات النفسية والدينية، والدراسات الإنسانية عمومًا؛ حيث أدى هذا التواصل والتكامل بين الدراسات العلمية التجريبية والدراسات الإنسانية النظرية في الإسكندرية إلى جذب مشاهير العلماء والأدباء والمفكرين الذين توافدوا عليها من كل أنحاء العالم الإغريقي، فقد وفد إليها كليخاموس الشاعر من برقة، وهروقيلوس الجراح وعالم التشريح، وارستراتوس عالم وظائف الأعضاء من آسيا الصغرى، كما أتى هبارخوس الفلكي من نيقية وغيرهم الكثير.

وقد بلغ من قوة وسمعة الإسكندرية بمعهدها العلمي ومكتبتها خاصة فيما يتعلق بالعلوم العلمية حدًا يجعل اميانوس ماركلينوس يكتب مشيرًا إلى ذلك: "أن خير تزكية كان في إمكان أي طبيب أن يحصل عليها، هي أن يقال إنه أتم دراسته في جامعة الإسكندرية"(3)

الأبعاد الحضارية لمكتبة الإسكندرية القديمة:

كانت مكتبة الإسكندرية الإطلالة الفكرية الأولى التي تضيء طريق المعرفة، وتنير مناهج البحث، وتخترق حواجز التقدم في غير حدود أو قيود لتنير العقل. وقد ظلت مكتبة الإسكندرية لعدة قرون مركزًا من أهم مراكز الفكر الإنساني؛ لاحتوائها على مجموعات فريدة من المؤلفات العلمية والفلسفية والأدبية، فقد أصبحت الملجأ والملاذ لعدد كبير من المؤلفين والمفكرين الذين كانوا يتوافدون عليها على مر القرون ليستمتعوا بكنوزها وينعموا بذخائرها. ففي مكتبة الإسكندرية القديمة ازدهرت علوم الدين والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والتشريح والزراعة والجغرافيا والتاريخ والفكر والفلسفة والآداب والشعر والنقد والفنون التشكيلية وغيرها.

أولًا: البعد الحضاري

لم تكن المكتبة القديمة بالإسكندرية تقل أهمية عن نهر النيل بحال من الأحوال ولا ينتقص من هذه الأهمية كون البطالمة هم من أسسوها، وقد كان وجود نبات البردي والذي يستخدم في صناعة الورق حافزًا مهما لصناعة المخطوطات لتدوين مختلف العلوم وإيداعها في المكتبة، وكانت بمثابة الجسر الرابط بين الثقافة والحضارة الإغريقية وبين الحضارة المصرية القديمة. فالحضارة الإغريقية بعد إنشاء المكتبة وتدعيم أسسها غلب عليها الطابع المصري حيث العبادات والعادات والأزياء وغيرها، فالبطالمة في الواقع قد تمصروا من جميع النواحي الدينية والثقافية والحضارية، وقلدوا إيزيس وأوزوريس وغيرهما.

ثانيًا: البعد الحضاري العالمي

كانت العلوم والمعارف قبل مكتبة الإسكندرية إقليمية إلى حد بعيد، ولكن بفضل إنشاء المكتبة أضحت المعرفة عالمية. فقد كانت التربة الصالحة التي احتضنت الفكر الإغريقي وغيره، ولم تكن المقتنيات في المكتبة مقصورة على مدرسة معينة ولكنها كانت وطنية لكل المدارس وعالمية لكل الثقافات والحضارات، فلم تنحز لمدرسة فكرية دون الأخرى أو لحضارة دون غيرها.

كانت تمثل تعددية فكرية وتجاوزًا حضاريًا ما أمسنا في الاحتياج إليه الآن.. معلمة العالم، لغة التجاور والحوار.

أهم علماء المكتبة:

إقليدس (325-365) ق.م:

من أهم علماء الرياضيات في العصور القديمة، صاحب كتاب (الأوليات) الذي نهل منه كل العلماء حتى أوائل القرن العشرين. عاش ودرس في الإسكندرية حيث أسس مدرسة للدراسات العميقة في الرياضيات في الإسكندرية. وأغلب المعلومات التي تتوفر عن إقليدس من الذين كتبوا عنه، ومن أهمهم بابوس الذي قال عنه: "إنه كان محبًا لكل من يرغب في تطوير الرياضيات، وحريصًا على عدم إغضاب أحد منه".

بقى من كتبه (المعطيات) data الذي كان يحتوي على 94 فرضًا، وكتاب (عن القسمة) on division الذي يقدم طريقة تقسيم شكل إلى قسمين بنسب محددة، وأيضًا كتب (البصريات) وهو أول كتاب عن المنظور في الرسم، وكتب (الظواهر) وهو دراسة عن الرياضيات المتعلقة بالفلك.

وإذا عدنا إلى (الأوليات) فإننا سنكتشف أن هذا العمل العظيم قد ترجم إلى العربية عدة مرات في القرن التاسع.. كانت الأولى على يد الحجاج

بن يوسف في مصر والذي ترجمه مرتين: مرة بأمر من الخليفة هارون الرشيد (786-809 ميلادية)، ومرة أخرى بأمر من الخليفة المأمون (823-832)، وترجمة للمرة الثالثة حنين بن إسحق (808-873) ثم راجعه ثابت بن قرة (836-901) ثم نصير الدين الطوسي (1201-1274). وقد تعرف الأوربيون على إقليدس عن طريق هذه الترجمات، وغني عن القول أن الكثير من أعمالهم العلمية قد بنيت على هذه الترجمات. وكان أول من ترجمه عن العربية هو اديلارد (1120) الذي تنكر في زي طالب مسلم، وألف بعد ذلك كتابًا مختصرًا له. وتلى ذلك العديد من الترجمات كان أهمها ترجمة جيرارد (1114-1187) فقد ترجم العديد من الأعمال العربية، فترجم حوالي 80 عملًا عن العربية وكان أشهرها (الماجستي)، كما ترجم أرسطو وإقليدس، وجالينوس كان من أهم ترجماته (القانون) لابن سينا.

يحتوي كتاب العناصر على أجزاء عديدة، فالجزء الأول إلى الرابع يتعلق بهندسة المسطحات، فقد كان إقليدس يؤمن بأن بناء هندسة ورياضة منطقية يعتمد على وضع أسس قوية لها، فوضع تعريفات للنقطة والخط والمساحة ثم وضع خمس بديهيات:

أولًا: بين كل نقطتين توجد مسافة توصلهما ببعضهما البعض.

ثانيًا: من الممكن مد أي خط إلى ما لا نهاية.

ثالثًا: من الممكن تحديد أي دائرة إذا حددنا مركزها ونقطة على محيطها.

رابعًا: تتساوى كل الزوايا القائمة.

خامسًا: إذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين وكان مجموع الزاويتين الداخليتين أقل من زاويتين قائمتين، فإن الخطين سيلتقيان إذا امتدا من ناحية الزاويتين (وقد نالت هذه البديهية كثيرًا من النقد).

ثم وضع خمس (أفكار عامة):

1- الأشياء التي تعادل شيئًا واحدًا تتعادل.

2- إذا أضيف رقمان متساويان إلى رقمين متساويين، فإن حصيلة الجمع في كل حالة تتفق مع الأخرى.

3- إذا طرحت أرقام متساوية من أخرى متساوية، فإن النتائج في كل حالة تكون متساوية.

4- إذا تطابق شيئان فإنهما متساويان.

5- الكل أكبر من الجزء.

احتوى الكتاب الأول على هذه (المسلمات) التي سبقها بثلاثة وعشرين تعريفًا، مثل: "النقطة لا تتجزأ"، و "الخط له طول وليس له عرض".

يحتوي الكتاب الثاني على أشياء مثل (التقسيم)، أي تقسيم الخط إلى جزأين بحيث تكون نسبة الجزء الأصغر إلى الجزء الأكبر تعادل نسبة الجزء الأكبر إلى الخط الكامل. وقد استولت هذه القسمة على فكر الرياضيين ثم ظهرت على شكل ما يسمى (المستطيل الذهبي) الذي تعادل أضلاعه النسبة المذكورة، والذي انتشر أمره بين فناني النهضة.

يناقش الكتاب الثالث خواص الدوائر.

ويناقش الكتاب الرابع خواص الأشكال متعددة الأضلاع خصوصًا خماسي الأضلاع.

يناقش الكتابان الخامس والسادس النسبة والتناسب.

أما الكتب السابع والثامن والتاسع فتناقش نظرية الأرقام وتعرف فيها الأرقام الزوجية والفردية والأولية، وطرق الوصول إلى القاسم المشترك الأعظم بين رقمين وأكثر.

وتناقش الكتب من الحادي عشر إلى الثالث عشر التجسيم.

من المسلمات العشر وأفكار عامة؛ استنتج إقليدس 465 نظرية، وكان

هذا أول إثبات لأهمية إثبات حقائق معينة بناء على مسلمات في الرياضة.

ظلت هندسة إقليدس تدرس في المدارس والجامعات طيلة ألفي سنة وحتى الآن رغم أن هناك هندسة بديلة تستعمل الآن تستمد اسمها أيضًا من إقليدس، فهي تسمى: الهندسة غير الإقليدية.

هيروفيلوس (335-280) ق.م:

عمل في مكتبة الإسكندرية في الفترة ما بين 300-260 ق.م، وترك لنا إرثًا كبيرًا من العلوم الطبية.

لقد كانت إحدى المشاكل التي تواجه العلوم الطبية هي تحريم تشريح الجسم البشري، ولكن عمليات التحنيط ووجود العديد من الحيوانات الثديية في حدائق المكتبة ساعد هيروفيلوس على وضع أسس علم التشريح والتشريح المقارن.

ولقد كانت إنجازات هيروفيلوس عظيمة بالفعل:

فقد أثبت أن المخ وليس الكبد والقلب هو مقر العواطف والذكاء. وقد قام بدراسة الجهاز الهضمي ووصف الاثنى عشر وأعطاها اسمها الذي عرفت به حتى الآن، كما درس البروستاتا وأعطاها اسمها كذلك، وقاس نبضات الدم بساعة مائية، وقام بإثبات أن حيض النساء هو عملية فسيولوجية وليست مرضية.

ووصف هيروفيلوس أجزاء من الغشاء السميك المغطى للمخ، كما وصف جزءًا من المخيخ وأطلق عليه اسم (قلم الكتاب). وإلى جانب هذا كله، قام هيروفيلوس بدراسة تشريح العين والكبد والغدد اللعابية والبنكرياس والغدد الجنسية في الجنسين.

اريستاركوس (310-230) ق.م:

تتلمذ على يد إقليدس وكانت الصورة المقبولة للكون في هذا الوقت تقول بأن الأرض مركز الكون وأن الشمس والكواكب تدور حولها في مدارات كاملة صحيحة، وكانت هذه الصورة التي تبناها أرسطو مثالًا واضحًا على أسلوبه في التفكير: فلا محل عنده للمشاهدة والتجربة إنما تتم معرفة الحقائق بممارسة الفكر والمنطق، وبما أن الأرض هي مقر الآلهة فلابد أن تكون مركز الكون، وبما أن الكواكب أجسام سماوية فلابد أنها تدور في أفلاك دائرية؛ لأن الدائرة هي أكمل الأشكال الهندسية.

ولكن اريستاركوس وضع المسمار الأول في نعش هذه النظرية، فلقد أثبت برياضياته التي تعلمها من إقليدس: أن الشمس هي مركز ما حولها من كواكب، وأن الأرض وغيرها من الكواكب تدور حول الشمس. ولكن الرواقي كلينثيس أعلن أن اريستاركوس يجب أن يعاقب بتهمة الكفر،

ورفض نظرية اريستاركوس بطبيعة الحال، وناله الكثير بسببها ودفنت بعده مؤقتًا إلى أن عادت للحياة أيام كوبرنيكوس.

ارازيستراتوس:

أبو علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)، عاش وتتلمذ في المكتبة. اكتشف الفرق بين أعصاب الحركة وأعصاب الإحساس، ولكنه كان يعتقد أن الأعصاب هي أنابيب تحمل سوائل. ووصف صمامات القلب وعرف وظائفها، وهو أول من تبنى نظرية النفسية.

أرشميدس (287-212) ق.م:

ولد أرشميدس سنة 287 قبل الميلاد في جزيرة صقلية، وكان والده فلكيًا شهيرًا، وكمعظم الشباب آنذاك سافر إلى الإسكندرية ثم إلى اليونان طلبًا للدراسة. ويعد الكثير من مؤرخي الرياضيات والعلوم أن أرشميدس من أعظم علماء الرياضيات في العصور القديمة، وهو أبو الهندسة. وقد قتل أرشميدس سنة 212 قبل الميلاد على يد الرومان بسبب أدوات القتال التي تسببت في أن يحارب الرومان ثمانية أشهر لفتح اليونان.

ومن أشهر اكتشافاته طرق حساب المساحات والأحجام والمساحات الجانبية للأجسام، وأثبت القدرة على حساب تقريبي دقيق للجذور التربيعية، واخترع طريقة لكتابة الأرقام الكبيرة. وهو نفسه الذي حدد قيمة (باي) (Pi)، وهي العلاقة بين محيط الدائرة وقطرها بدقة عالية. أما في مجال الميكانيكا فارشميدس هو مكتشف النظريات الأساسية لمركز الثقل للأسطح المستوية والأجسام الصلبة واستخدام الروافع، ومخترع قلاووظ أرشميدس.

ومن أبرز القوانين التي اكتشفها: قانون طفو الأجسام داخل المياه والذي صار يعرف بقانون أرشميدس. وقال عنه العالم الرياضياتي جاوس: "إنه واحد من أعظم ثلاثة في العلوم الرياضية مع كل من اسحاق نيوتن وفردناند إيسنستن".

ايراتوستينوس (275-195) ق.م:

عندما تولى بطليموس الثالث الحكم أقنع ايراتو بالانتقال إلى الإسكندرية لتولي تعليم ابنه بطليموس الرابع، ثم تولى إدارة المكتبة عام 240 ق.م. وقام بالكثير من الأعمال التي اختفى معظمها ولم يتبق منها سوى القليل، ومن أهم أعماله كتاب عن الرياضيات التي بنى عليها أفلاطون

فلسفته الذي درسه ثيون والد هيباشيا، وكتب عنه إن ايراتوسيثنوس ناقش فيه التعاريف الرياضية والهندسية، كما بحث في مواضيع أخرى مثل الموسيقى.

وكانت معجزته إثبات كروية الأرض وإجراء قياس دقيق لمحيطها.

لاحظ ايراتوسيثنوس أن الشمس تتعامد تمامًا على الأرض عند أسوان في ظهر 21 يونيو من كل عام، ففي هذا الوقت تختفي ظلال المسلات ويمكن رؤية انعكاس صورة الشمس على سطح المياه في الآبار العميقة، وهي ملحوظات سهلة يمكن أن تمر على أي إنسان ولكن ايراسيثنوس لم يكن عاديًا...

وضع عصا طويلة رأسية في الإسكندرية في نفس اللحظة من يوم 21 يونيو ولكنه وجد للعصا ظلًا، وتعجب أن أشعة الشمس لبعدها عن الأرض تسقط عليها متوازية. فإذا كانت الأرض مسطحة فلابد، وفقًا لهندسة إقليدس، أن العصا الرأسية يكون لها نفس الظل على الأرض في كل مكان؛ وهكذا أُثبتت كروية الأرض.

ولم يكتف بذلك.. فقام بقياس زاوية سقوط أشعة الشمس على العصا الرأسية في الإسكندرية في ظهر يوم 21 يونيو، وكانت هذه الزاوية تقدر بما

يعادل 7 درجات 800 كم. مد ايراتوسيثنوس رياضيًا الخط الرأسي للعصا في الإسكندرية والخط الرأسي للعصا في أسوان، وأثبت بالهندسة الإقليدية أنهما سيلتقيان في مركز الكرة الأرضية بزاوية تعادل 7 درجات (وهي الزاوية بين أشعة الشمس المتوازية الرأسية في أسوان والإسكندرية)، وتمكن بهذه المعلومات من قياس محيط الأرض بما يعادل 40000 كم، وهو رقم لا يختلف إلا بنسبة 1% عن أدق الحسابات الحديثة.

أبولونيوس (262-190) ق.م:

ولد في أيونيا - أنطاكيا - تركيا، ومات في الإسكندرية حيث أتى لها وهو صغير طالبًا للعلم والمعرفة. وتتلمذ على يد تلاميذ إقليدس وكان لأعماله تأثير كبير على علم الرياضيات، خصوصًا كتابه (المخروطات) الذي عرفنا بأوصاف نستعملها اليوم مثل: القطع المكافئ، والقطع الناقص، والقطع الزائد.

كان هذا الكتاب ثمانية أجزاء بقى منها أربعة فقط بلغتها الأصلية، أما الترجمات العربية فقد بقى منها سبعة أجزاء.

وكان أبولونيوس من أوائل من قاموا بتأسيس علم رياضيات الفلك باستعمال نماذج لتفسير حركة الكواكب، ومن كتبه (المرآة الحارقة) حيث أوضح أن الأشعة المتوازية الساقطة على المرآة المقعرة لن تنعكس على مركز

الدائرة. وكان له تطبيقات لنظرياته عن المخروطات؛ فقد صنع مزولة مرسومًا عليها الساعات على سطح قطاع في مخروط مما جعلها أكثر دقة مما سبقها. كذلك كانت قطاعات أبولونيوس أساس اكتشاف كبلر لقواعده عن حركة الكواكب حول الشمس، تلك القواعد التي حطم بها نظريات أرسطو عن الدوائر الكاملة التي تسير فيها الكواكب المقدسة.

هيباركوس (190-120) ق.م:

عاش أغلب حياته بين رودس والإسكندرية. ويتميز بين أعماله عملان: أولهما رسم خريطة فلكية اعتمد عليها بطليموس في تحرير كتابه (الماجستي)، كما أنه استطاع قياس المسافة بين الأرض والقمر بدقة بالغة، فقد قدرها بحسابات تتراوح بين 57-59 ضعف نصف قطر الكرة الأرضية -والرقم الصحيح هو 60 ضعف نصف قطر الأرض- علاوة على إضافاته الواسعة لعلوم الفلك فقد قام بتبني قضيتين كانت إحداهما صائبة والثانية خاطئة.. فالقضية الأولى هي مهاجمته بقسوة بالغة لأعمال الدجالين والمنجمين في كثير من كتاباته، وكانت القضية الثانية هي هجومه العنيف على فكرة مركزية الشمس التي اقترحها اريستاركوس، وتولى القضاء عليها بعده

بطليموس إلى أن أعادها إلى الحياة كوبرنيكوس في القرن السادس عشر.

ديونيسيوس (107-68) م:

وضع أول كتاب عن نحو وصرف اللغة اليونانية وامتد نفوذ هذا الكتاب إلى أن أصبح نموذجًا للنحو والصرف في الإمبراطورية الرومانية، ثم للهجات الشائعة في العصور الوسطى وعصر النهضة. وقد كتب كتابي (التقليد في الكتابة) وعن (التعليق على الخطباء القدماء)، وعن (النطق السليم) وهو الكتاب الوحيد عن مبادئ تكوين جمل المعاصرون للكلام على أساس كتابات ديونيسيوس بأن له أربعة مكونات: أولها علم الأصوات الكلامية، ثم الصرف، ثم تركيب الجمل وإعرابها، ثم دلالات الألفاظ وتطورها.

هيرون:

أهم أعماله كتاب (القياسات)، وهو الكتاب الذي لم يُكتشف إلا عام 1896 ويجمع في ثلاثة أجزاء قواعد الهندسة التي جمعها هيرون من مصادر متعددة يمتد بعضها إلى البابليين، عن المساحات والأحجام عن طريقة لحساب الجذر التربيعي ما تزال مستعملة في بعض الآلات الحاسبة حتى الآن.

وكان من أهم كتبه أيضًا كتاب عن (المساحة)، ويصف فيه آلة الديوبتر التي تقوم بوظيفتها الآن المزواة التي يستخدمها المساحون. كما كتب تعليقات على (الأوليات) لإقليدس، ويجيء ذكره كثيرًا في هذا المجال في ترجمات أبو العباس الفضل بن حاتم التبريزي (865-922).

بطليموس (85-165م):

ولد في جنوب مصر وتوفى في الإسكندرية. هو كاتب (الماجستي) وهو الكتاب الذي ظل أهم مراجع علم الفلك على مدى 14 قرن، وإلى جانب (الماجستي) وضع كتبًا عديدة أهمها (الجغرافيا) وفيه حاول وضع ما هو معروف عن الكرة الأرضية بين خطوط الطول ودوائر العرض، ولكنه كتاب مليء بالأخطاء التي استعملها كولومبوس.

ووضع كتابًا آخر في (البصريات) وفيه يقدم بعض الآراء عن الألوان والانعكاس والانكسار والمرايا المختلفة.

جالينوس (129-199)م:

تعلم ودرس في مكتبة الإسكندرية على مدى أكثر من عقد واكتسب فيها ما أنتجه من علم. تمكن في مكتبة الإسكندرية من تشريح الحيوانات،

خصوصًا نوعًا من القردة يطلق عليها اسم بربري، واختفى هذا النوع تقريبًا من العالم ما عدا بعض منه يعيش في جبل طارق. قام جالينوس إلى جانب هذا بتشريح الخنازير والماشية والماعز وطور بذلك أسس علم التشريح المقارن. درس جالينوس تشريح الأعصاب ووصف منها سبعة في الرأس تعرف الآن باسم (أعصاب الجمجمة)، ودرس أيضًا العضلات والعظام ووظائفها وأثبت أن أحد الأعصاب هو المسئول عن الصوت، وتمكن من إدراك أنه بقطع النخاع الشوكي في مناطق معينة يتسبب في أنواع مختلفة من الشلل.

بابوس:

يعد بابوس آخر الفلكيين العظماء القدماء، فقد بزغ اسمه في المكتبة. وأعظم أعماله هي تأريخه للمكتبة في كتابه (المؤتمر)، فقد أرخ فيه وسجل كتب إقليدس وأبولونيوس وهيروفيلس وايراتوسثينوس وغيرهم مما أدى إلى بقاء محتويات هذه الكتب حتى بعد فقدانها.

ثيون (335-405م):

ولد ومات في الإسكندرية. عرف عنه أنه راقب خسوف القمر في 16 يونيو 364 في الإسكندرية، وأنه أيضًا سجل كسوف الشمس في 25 نوفمبر من نفس العام.

كان ثيون والدًا ومربيًا لابنته هيباشيا، وهذا في حد ذاته عمل مجيد. ولكنه قام كذلك بالمراجعة والإضافة إلى كثير ممن سبقوه مثل: بطليموس (الماجستي)، وأعمال إقليدس المتعددة.

أفلوطين (204-270م):

يعتبر الفيلسوف اليوناني أفلوطين الذي ولد في العام 204م في مدينة ليكوبوليس في مصر، وتوفي في العام 270م في بلدة كامبانيا قرب روما؛ الممثل الرئيسي للمدرسة الأفلاطونية الجديدة. نشأ في وسط متأثر بالفلسفة والعقائد الشرقية، وتتلمذ لمدة أحد عشر عامًا تقريبًا (ما بين 232م-243م) في الإسكندرية على يد أمونيوس زاكاس الذي يمكن اعتباره المؤسس الفعلي للأفلاطونية الجديدة. عن هذه المرحلة من حياته، كتب تلميذه ومؤرخ سيرته بورفيريوس.

أخذه أحد أصدقائه لزيارة أمونيوس الذي لم يكن يعرفه بعد، فما إن دخل واستمع إليه حتى قال لصديقه: "هذا هو الإنسان الذي كنت أبحث عنه ومنذ ذلك اليوم دأب على معاشرة أمونيوس وهيرينيوس وأوريجينيوس الذين اتفق معهم على الحفاظ على سرّانية العقائد التي كان أمونيوس قد شرحها لهم بوضوح.

اطلع أفلوطين على الفلسفة الرواقية، ودرس الفلسفة الهندية. أمّا في عام 244 فقد انتقل إلى روما حيث أسس، في ظلّ حكم الإمبراطور فيليبوس العربي، مدرسته الأفلاطونية الجديدة التي لاقت رواجًا عظيمًا ودعمًا كبيرًا من قبل الإمبراطور غاليانوس، والتي كان أفلوطين مديرها وحامي عقيدتها. وكان من أهم تلاميذته بورفيريوس الذي خلفه على رأس المدرسة بعيد وفاته في عام 270.

فلسفته:

يعتبر أفلوطين نفسه شارحًا ومفسرًا لفلسفة أفلاطون، فقد كتب بهذا الخصوص قائلاً:

"الذكاء هو سبب كل شيء؛ لذلك يدعو أفلاطون الخير المطلق بالأب ويعتبره مبدأ يسمو على الذكاء وعلى الجوهر. ففي مقاطع عديدة يسمي الكائن والذكاء بالفكرة. لذلك نراه في تعاليمه يقول إن الذكاء يلد من الخير، وأن الروح تلد من الذكاء. وهذه العقيدة ليست جديدةً.. فقد جرى التبشير بها منذ أقدم الأزمنة؛ لذلك ومن دون التوسع بشرحها تحديدًا؛ لأننا لا نريد هنا إلاّ أن نكون المفسرين للحكماء الأوائل، فإننا سنبين استنادًا إلى أفلاطون أن العقائد التي كان يحملها القدماء هي نفسها عقائدنا".

والإنيادس التي نستشهد بها أعلاه هي العمل الأوحد لأفلوطين، الذي جمعه من بعده في تسعة كتب، وصنفه في ست مجموعات، تلميذه وخليفته بورفيريوس. في عمله هذا، يؤكد أفلوطين على وجود يتجاوز العالم الحسّي منطلقًا من ثلاثة أقانيم أساسية:

- حيث هناك أعلى من الجميع وأعلى حتى من الكائن، ذلك الواحد بحد ذاته - وأفلوطين يقارب هنا مفهوم الخير الذي تحدث عنه أفلاطون في الجمهورية - هذا الذي يشكل نقطة الانطلاق ل(تشكل) الأقنومين الآخرين: فيجعلهما ينبثقان من فيضه الخاص؛ لأنه ذلك الكامل الذي يتجاوز كل الفضائل، ذلك الذي لا يمكن وصفه، والذي هو الأب الكلّي واللاوجود معًا.

- أمّا الإقنيم الثاني: فهو العقل البدئي أو الذكاء، الذي من أولى صفاته معرفة ذاته ووعيه لها. ونلاحظ أن أفلوطين يتناقض هنا مع أفلاطون، حيث يؤكد على أن الأفكار والماهوسات لا تعلو على العقل البدئي ولا تنفصل عنه، إنما هي تشكل واحدًا مع الذكاء الذي يكتشف نفسه ويمر عليها، لأنه كائن (متعدد) جذريًا.

- أمّا الأقنوم الثالث: فهو الروح (تلك التي لا تهدأ)، والتواقة إلى الفعل. وهي عامل تناغم، لأنها لم تنس وقائع ما في الأعالي من جهة، ولأنها من منظور آخر تستوعب كل الأجسام وتحيي كل نفوس هذا العالم الحسيّ المتصل بالشر؛ من هنا كانت جرأتها.

أما الروح الفردية فيتوجب عليها دائمًا تذكّر (أصلها النبيل) أي علاقتها البدائية بالأقنوم الثالث، وذلك كي لا تضلّ طريقها في هذا العالم.. وبوسعها ذلك عن طريق الاهتداء -وليس عن طريق التذكُّر كما كان يعتقد أفلاطون الذي كان أفلوطين على خلاف معه حول هذه النقطة أيضًا- (هذا الاهتداء) الذي يمكنها، مستندةً إلى مشاركتها للروح الكونية، من التغلُّب على عواطفها وعلى الجسد (فحسب بورفيريوس، كان أفلوطين يخجل من كونه في جسد) ما يغلّب دائمًا الجانب العاقل على الجانب غير العاقل.

ونشير هنا إلى أنه يتوجب علينا عدم النظر إلى الذكاء كجزء من هذه الروح الفردية؛ لأنه بوسعنا تملكه فقط حين نستخدمه، وإلاّ فنحن لا نملكه. لكن استخدام الذكاء، بمعنى التفكر بالاعتماد عليه، يجعلنا "ننتقل إلى الجانب الأوضح، ونجذب أفضل ما في الروح"، كما يجعلنا نتمتع بفكر حدسي يستبعد الفكر الهدّام.

وهكذا، طالما كانت الروح تسعى للاتحاد مع الروح الكونية، فإنها تمارس سيطرتها على الأشياء. وبالعكس، إن تعلقت بجسد محدد بسبب فتنة طبيعية فإنها تضيع نفسها. لكنه يبقى من الممكن دائمًا بالنسبة لها، لأنها خالدة، أن تتطهر من خلال حيواتها المتكررة، وأن تتحد في النهاية مع الإله الواحد.

ونشير هنا في النهاية إلى أن هذه العقيدة أثرت كثيرًا على التصوف الغربي (بدءًا من يعقوب بوهمه، مرورًا ربما بالقديس أغوستينوس)، كما أثرت بأشكال مختلفة على فلاسفة كبار كلايبنتز وشوبنهاور وبيرغسون.

مؤلفاته:

كما سبق أن أشرنا، تعتبر الإنيادس المؤلف الأوحد لأفلوطين. وهي تتألف من:

- الإنيادس الأولى: وتحتوي على تسعة فصول هي:

1- ما هو الحيوان؟ (بحث).

2- في الفضائل (بحث).

3- في الجدلية (بحث).

4- في السعادة (بحث).

5- هل تزداد السعادة بمرور الزمن؟ (بحث).

6- في الجمال (بحث).

7- في الثروة الأولى وفي باقي الثروات (بحث).

8- ما هي المصائب وما هو سببها؟ (بحث).

9- في الانتحار المنطقي (بحث).

- الإنيادس الثانية: وتحتوي على تسعة فصول هي:

1- في الأرض والسماء (بحث).

2- في حركة السماء (بحث).

3- في تأثير النجوم (بحث).

4- في المادتين (بحث).

5- ما المقصود ب(القوة) وب(بالفعل)؟ (بحث).

6- في النوعية وفي الشكل (بحث).

7- في الخليط الكلّي (بحث).

8- لماذا تبدو الأشياء التي ننظرها من بعد صغيرة؟ (بحث).

9- ضد الذين يدّعون أن الفيض العالمي سيئ وأن العالم شرير (أي ضد الغنوصيين) (بحث).

- الإنيادس الثالثة: وتحتوي على تسعة فصول هي:

1- في القدر (بحث).

2- في العناية الإلهية، جزء أول (بحث).

3- في العناية الإلهية، جزء ثان (بحث).

4- في الشيطان الذي تقاصمنا (بحث).

5- في الحب (بحث).

6- في عدم تأثر الأشياء غير المادية (بحث).

7- في الأزلية وفي الزمن (بحث).

8- في الطبيعة وفي التأمل وفي الواحد (بحث) .

9- اعتبارات مختلفة (بحث).

- الإنيادس الرابعة: وتحتوي على تسعة فصول هي:

1- في جوهر الروح (بحث).

2- كيف تتبوأ الروح مكان الوسط بين الجوهر الذي لا ينقسم والجوهر الذي ينقسم؟ (بحث).

3- تساؤلات حول الروح جزء أول (بحث).

4- تساؤلات حول الروح جزء ثان (بحث).

5- تساؤلات حول الروح جزء ثالث (بحث).

6- في الحواس وفي الذاكرة (بحث).

7- في خلود الروح (بحث).

8- في نزول الروح في الجسد (بحث).

9- هل تشكل كل الأرواح روحًا واحدة؟ (بحث).

أمونيوس ساكاس (؟؟؟م- ما بين 245:240م):

أمونيوس ساكاس فيلسوف يوناني من الإسكندرية، كان أستاذ أفلوطين ومؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة التي انطلقت من روما.

سيرته:

ما نعرفه عنه قليل جدًا. ويقال على لسان تلاميذه إنه ولد في الإسكندرية من أبوين مسيحيين، وأنه كما يدلّ اسمه ساكاس عمل خلال فترة من حياته حمالًا في مرفأ الإسكندرية.

هل كان مسيحيًا؟ يقول بورفيريوس إنه تنكّر لمسيحيته، أما أوزيبيوس والقديس جيروم فيؤكدان أنه بقي مؤمنًا بها.

بعد مرحلة طويلة من الدراسة والتأمل افتتح أمونيوس في الإسكندرية مدرسته الفلسفية التي كان من أهم تلاميذها: هيرينيوس، أوريجينوس الأفلطوني، لونجينوس، وخاصةً أفلوطين الذي يقال إنه تتلمذ على يده ما يقارب العشر سنوات، حيث أخذه أحد أصدقائه لزيارة أمونيوس الذي لم

يكن يعرفه بعد. فما إن دخل واستمع إليه، حتى قال لصديقه: هذا هو الإنسان الذي كنت أبحث عنه. ومنذ ذلك اليوم دأب على معاشرة أمونيوس، وهيرينيوس، وأوريجينيوس الذين اتفق معهم على الحفاظ على سرّانية العقائد التي كان أمونيوس قد شرحها لهم بوضوح.

لا نعرف تاريخ ميلاده، كما أننا لسنا متأكدين من تاريخ وفاته الذي يقال إنه كان ما بين 240 و245 ميلادية.

فلسفته:

لم يترك أمونيوس أي عمل مكتوب؛ إذ إنه وبمعونة تلاميذه حافظ، كما كان يفعل الفيثاغوريون، على سرّانية تعاليمه. لذلك فإن ما نستخلصه عنه مصدره -خاصةً- كتابات تلميذه أفلوطين. منه ومما يقوله دارسوه، بوسعنا أن نقول إن عقيدته كانت أقرب إلى الأفلاطونية منها إلى أفلوطين. حيث يقول هيروكلس الإسكندراني الذي كان من المعجبين به إن عقيدته التي كانت بشكل رئيسي انتقائية وتوفيقية، استندت إلى دراسة نقدية لأرسطو وأفلاطون وحاولت التوفيق بين مدرستيهما.

أخيرًا، أشعث حكمة أمونيوس الذي يبجّل فيطلق عليه اسم (الملهم من الله)؛ لأنه كان هو الذي طهّر أفكار الفلاسفة القدماء فبدد الأوهام التي

انبثقت من كل جانب، وأعاد الانسجام في الأمور الأساسية ما بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو. لقد كان أمونيوس الإسكندراني، الملهم من الله، أول من تمسّك بحماس بالفلسفة الحقيقية، وترفع عن الآراء العامّية التي جعلت من الفلسفة موضوع احتقار؛ فتفهم عقيدة أفلاطون وأرسطو وجمعهما في روح واحدة، وقدّم الفلسفة بسلام لتلاميذه أفلوطين وأوريجينوس ومن خلفهما.

وفيما يتعلق بالوحدة التي تجمع بين الروح وبين الجسد، كتب نيميسيوس الحمصي عن أمونيوس ساكاس الذي يعتبره أفلاطونيًا، يقول:

هكذا كان أمونيوس، أستاذ أفلوطينّ، يشرح هذه المسألة التي تشغلنا (مسألة العلاقة بين الروح وبين الجسد)، بأنه من طبيعة المدرَك أن يتحد مع من بوسعه استقباله بحميمية تشبه تلك التي تتحد بها الأشياء التي تتفاعل مع بعضها، وفي نفس الوقت أن يبقى (أي المدرَك) طاهرًا غير ملوث كما هي حال الأشياء غير المحاذية. وبالفعل، فإن ما نلاحظه بالنسبة للأجسام أن الوحدة تؤثر على تلك الأجزاء التي تتقارب لتشكل أجسامًا أخرى؛ فهكذا تتحول العناصر إلى أجسام مركبة، ويتحول الطعام إلى دم، والدمُ إلى لحم وإلى أجزاء أخرى من الجسم. أمّا بالنسبة للمدرَك فإن الاتحاد يتم من دون تغيير، لأنه من طبيعة المدرَك الجوهرية ألاّ تقبل التغيير، فهو قد

يزول أو يختفي من الوجود لكنه لا يتغير. لكن المدرك لا يزول؛ لأنه إن كان يزول لما كان أزليًا، وكما الروح هي الحياة، فإنها إن تغيرت بسبب اتحادها مع الجسد تصبح شيئًا آخر ولا تبقى هي الحياة. عندها ما الذي بوسع الروح أن تقدمه للجسم إن لم تعطه الحياة؟ ما يعني أن طبيعة الروح لا تتغير حين تتحد بالجسد.

يامْبليخوس:

يُعرف أيضًا باسم يامبليخوس الخلقدوني أو الخلقيسي، أديب إغريقي من أصل سوري عاش في ذروة العصر الإمبراطوري الروماني الذي شهد فيه الشرق الهلنستي -وخاصة سوريا- نهضة علمية وفكرية وأدبية كبيرة، اشتهر بروايته الموسومة (حكايات بابلية). ويعد من أقدم كتاب القصة الإغريقية، ويحمل اسمه طابعًا عربيًا خالصًا -على الرغم من شكله الإغريقي- وهو من الأسماء المعروفة في سوريا في العصر الروماني، وهو من أعلام الأفلاطونية المحدثة، ويرد بكثرة في نقوش صفوية وعربية. لا يعرف كثير عن حياة هذا الأديب إلا ما أورده في ثنايا روايته الشهيرة.

ولد يامبليخوس نحو عام 125م، وكتب روايته بعد عام 165م. قام بتربيته مثقف بابلي كان في وطنه من الكَتَبة الملكيين، وأُسر على ما يبدو في

حروب الإمبراطورية ترايان ضد الفرثيين في بلاد الرافدين عام 116-117م، وتلقى عنه لغة بابل وثقافتها وحكاياتها. كانت لغته الأم الآرامية من دون شك، لكنه تعلم اللغة الإغريقية وأجادها حتى صار أستاذًا في البلاغة، ويبدو أن عاش قسطًا من حياته يعمل كاتبًا في بلاط الملك سوأيموس الذي نصبه الرومان على عرش أرمنيا عام 164م.

الفيلسوف فرفوريوس الصوري:

وُلِد في صور سنة 233م وتتلمذ فيها على المعلم الكنسي الكبير أوريجين، وقد ذهب إلى روما سنة 264 والتحق فيها بمدرسة الأفلاطونية الحديثة التابعة لأفلاطين، وبلغ الذروة في دعوته إلى هذه الفلسفة.

ويقال إن اسم فرفوريوس، أُطلق عليه في الإسكندرية عندما كان يتتلمذ على أمونيوس الذي رغب في أن يعطيه اسمًا إغريقيًا بدلًا من اسمه الصوري ملكوس (الملكي)؛ فلم يجد أفضل من كلمة فرفوريوس (الأرجواني) تؤدي المعنى ذاته.

وقد ألف فرفوريوس كتابًا عن حياة فيثاغور حاول البرهان فيه على قيامه بمعجزات وعجائب كثيرة، وأنه منح الخلص من أتباعه هذه المقدرة. كما أنه هاجم التعاليم المسيحية في واحد وعشرين كتابًا، رد عليها متوديوس رئيس

أساقفة صور، وقد أحرقت هذه الكتب علنًا سنة 435 بأمر تيودوسيوس الثاني، ولم يصل إلينا منها سوى بقايا مبعثرة في مؤلفات كثيرة.

والأخلاق التي كان يعلمها ويدعو إليها نشرها في كتابه، داعيًا فيها إلى الامتناع عن تتبع اللذات وتناول الأطعمة الحيوانية، وله بحث في هوميروس في اثنين وثلاثين كتابًا، ولكن أهم ما شهر فرفوريوس وكان له تأثير كبير في تاريخ الفلسفة هو كتاب (إيساغوجيا) أو (المدخل إلى المنطق). ولو لم يجمع فرفوريوس مؤلفات أفلوطين ويصنفها ويرتبها في (تاسوعته) لظل أفلوطين اسمًا مجهولًا.

مؤلفاته:

من أهم كتاباته (حياة أفلوطين)، إضافة إلى تصانيف أخرى كثيرة تنم عن شخصية فكرية فذة وخلقية قوية جدًا حتى سماه القديس أوغسطين «فقيه الفلاسفة». وقد تولى فورفوريوس شرح كتب التاسوعات لأفلوطين بعد موته، وكذلك جمعها ونشرها في مصنف واحد وزعها على ستة أقسام في كل قسم تسع رسائل؛ فسميت (التاسوعات) وعكست بأمانة تعليمه الشفهي، وهي سلسلة محاضرات توضح موضوعات أساسية في الفلسفة والنفس، مثل: كيفية نزول النفس إلى الجسم واتحادها به، ومشكلة الذاكرة

في النفوس المختلفة، بدءًا من النفس البشرية وانتهاءً بنفس العالم، والواحد مبدأ الوجود.

عرف أفلوطين أن تلميذه الوفي يعاني من حالة من السويداء والاكتئاب إلى حد الرغبة في الانتحار من دون أن يعرف السبب؛ لهذا كان يحثه على الارتحال دومًا، إلى أن صدع فورفوريوس بأمر نصيحة المعلم وركب البحر إلى صقلية (منفاه الطوعي الأخير) بعد أن أخذ من المعلم وعدًا بأن يرسل إليه المخطوطات التي ستكون أساس التاسوعات. وقد أسف فورفوريوس لأنه لم يحضر احتضار أفلوطين، ولم يسمع كلماته الأخيرة.

معلومات عن السيرة الذاتية:

لم يكن فورفوريوس محض فيلسوف أفلوطيني، وإنما كان صاحب فكر عظيم الحيوية وذهن منفتح غاية الانفتاح، وكان فضلًا عن الفلسفة يهتم بالنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والفلك والطب، وقد عرف من تصانيفه ما يزيد على سبعة وسبعين كتابًا.

ويعد شرحه للتاسوعات أول خطوة على طريق المعرفة، وخلاصة منهجية لأفكار المدرسة. وقد حقق كتابه (إيساكوجي)، وهو مدخل إلى مقولات أرسطو، شهرة واسعة إذ قدم فيه أساس المساجلة الكبرى في العصر

الوسيط حول القيمة المعرفية للكليات، وشرح فيه خمسة تصورات هي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض، التي سُمّيت فيما بعد بالمحمولات. وتمكن فورفوريوس أيضًا من كتابة تاريخ الفلسفة في أربعة أجزاء: حول أفلاطون والأفلاطونية، وحياة فيثاغورث وموضوعات أخرى أشاد بها مفكرون من نمط أبولونيوس الطياني ويامبليخوس الخلقيسي ممن يشعرون أنهم أكثر انجذابًا إلى التيوصوفية أكثر من انجذابهم إلى أفلاطون، وعن المعرفة التي يحصلها من فلسفة العرافات التي يقعّد فيها فورفوريوس ديانة بلا عقائد، كما قيل عنها.

وكان تعاطفه مع الشرق واضحًا في رسالته (في التماثيل)، تلك التي يدافع بها عن العبادة الوثنية، ويقترح تصورًا للآلهة وثيق الصلة بالرواقية. أما في كتابه (المباحث الهوميرية)، وهو من مؤلفات الشباب، فيتراكب فيه عنصران جديدان هما: المجازية التي يطبقها فيلون الإسكندرية على التوراة، وثانيًا فكرة التوفيق. كما كتب فورفوريوس رسالة وجهها إلى مارسيلا الأرملة الحكيمة التي كانت أمًّا لستة أبناء عندما تزوجها، وهذه الرسالة كانت وصية روحية إنسانية للغاية تتضمن منهاجًا للحياة الخلقية والدينية. ويعد فورفوريوس أول الأفلاطونيين المحدثين هجومًا على المسيحية، فقد نُسب إليه

أنه حث ديوقليسيان على اضطهاد النصارى في كتابه ضد المسيحيين الذي كان مرجعًا في كشف التعارض الزمني وحقيقة مؤلفي بعض أجزاء الأناجيل.

مركلينوس (أميانوس):

(نحو 330 – نحو 395م)

أميانوس مركلينوس قائد عسكري وسياسي ومؤرخ بارز من القرن الرابع الميلادي، يعده كثير من المؤرخين المعاصرين آخر المؤرخين الرومان العظماء. ولد لعائلة يونانية ثرية في مدينة أنطاكية، شمال غربي سوريا، انتسب في فترة باكرة من حياته إلى الجيش الروماني وشارك في عدد من المهام العسكرية ضد الفرس الساسانيين (ر)؛ مما أهله لمصادقة عدد من المسؤولين البيزنطيين وكذلك الكتابة عن تاريخ الفترة من 96-378م، وهي الفترة التي عدها مؤرخو العصر تتمة لتاريخ المؤرخ الشهير تاكيتوس (ر) Tacitus (نحو 55-120م). وبالرغم من أنه لم يُعثر على الأجزاء الثلاثة عشرة الأولى من هذا المؤلف التاريخي (كتاب تاريخ الأحداث)، فإن الأجزاء التي عثر عليها من الرابع عشر إلى الواحد والثلاثين، والتي تغطي الفترة من 353-378م، تعد أهم روايات الفترة وتكاد تكون الوحيدة عن الأحداث السياسية

والعسكرية لهذه المرحلة من تاريخ المنطقة، وكذلك عن تاريخ الإمبراطور يوليانوس (المرتد) وحروبه مع الفرس.

يذكرمركلينوس عن نفسه أنه عمل ضابطًا تحت قيادة القنصل أورسكينوس في الشرق، وأنه أدى دورًا بارزًا في الحرب ضد الفرس الساسانيين، كما أنه كسب ثقة القنصل لدرجة أن القنصل دعاه إلى مصاحبته في مهماته العسكرية في إيطاليا وبلاد الغال. ويذكر عن نشاطاته الشخصية أنه قام بزيارة إلى مصر وأخرى إلى إسبرطة (ر)، وانتهى به الأمر سنة 390م في روما حيث قرر الإقامة الدائمة والتفرغ لكتابة تاريخه الذي استغرق عدة سنوات.

يصف المؤرخون المعاصرون أميانوس مركلينوس بصفات المؤرخين العظماء، ويلاحظ من تتبع كتاباته أنه كان يكتب تاريخ الحدث من خلال دراسته الشخصية الرئيسة في حصول الحدث. ويذكر المؤرخ الشهير إدوارد غيبُن (ر) عن مركلينوس: أنه لم يكتب حدثًا تاريخيًا واحدًا في حياته مستهلًا إياه بأحكام مسبقة أو متأثرًا بعاطفة أو متحيزًا، وهي صفات لازمت معظم أعمال معاصريه من مؤرخي روما والمناطق التي خضعت لها. ومع أنه كان وثنيًا كانت لديه مساحة من التسامح الديني جعلته منصفًا في حديثه عن

المسيحية والمسيحيين الأوائل. وقد ساعده تمكنه من اللغة اللاتينية على قراءة عدد كبير من أعمال المؤرخين والأدباء الرومان وبالتالي الكتابة بلغتهم والإفادة من استعاراتهم وزخرفهم في صناعة لغته في بناء الأحداث التاريخية، وبناء جملة حيوية ومميزة وفخمة.

هيباشيا (370-415):

ولدت وقتلت في الإسكندرية. كانت عالمة فلسفة من المدرسة الأفلاطونية الجديدة، وكانت أول سيدة بهذا المقام تعمل في الرياضيات وكان أستاذها في الرياضيات والدها ثيون.

حاضرت هيباشيا في الرياضيات والفلسفة، ودرست فلسفة أفلوطين إلى جانب فلسفة لامبليكوس مؤسس الفرع السوري لمدرسة الأفلاطونية الجديدة. وكان هيباشيا بهذا تعتبر رمزًا لالتقاء العلم والفلسفة، وهو وضع كان يعتبر في هذا الوقت مؤيدًا للوثنية.

أصبحت رئيسة المدرسة الأفلاطونية الجديدة في الإسكندرية حوالي 400م. وجذب جمالها وذكاؤها عددًا كبيرًا من المريدين وكان من أهمهم سبنيسيوس الذي صار بعد ذلك أسقفًا هامًا.

في عام 380 أصدر الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس قرارات بمحاربة الوثنية والأريانية، وأصدر عام 391 (استجابة لثيوفيليوس أسقف الإسكندرية) تصريحًا بتحطيم المؤسسات الدينية المصرية. استجاب المسيحيون لهذه الرغبة بتحطيم معبد السرابيوم ومكتبة الإسكندرية، وبعد أن اعتلى كيرلس الأول كرسي البطريركية عام 412م تجددت الفوضى، وتم قتل هيباشيا 415.

1– «هـ. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثاني، الكتاب الخامس، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، 1969».

2– ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ص 455.

3– لطفي عبد الوهاب: دراسات في العصر الهللينستي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 189.

الفصل الثالث

مكتبة الإسكندرية القديمة

وتأسيس العلم الحديث

يؤكد دكتور/ سمير حنا صادق في كتابه (نشأة العلم في مكتبة الإسكندرية القديمة) أن بذور النظرة العلمية الصحيحة للعلم قد بدأت في أيونيا بأمثال: طاليس (640-546ق.م)، وأنا كسمندر (611-547ق.م) أن هذه الجذور قد أزهقت إلى حد ما على أيدي أتباع فيثاغور الذي أدخل الآلهة إليها. ولكن هذه الجذوة قد عادت إلى الاشتعال وأضاءت العالم في مكتبة الإسكندرية في الفترة بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع بعد الميلاد. وبقتل هيباشا انطفأت جذوة العلم إلى أن اشتعلت ثانية على أيدي العلماء والمترجمين المسلمين في ما بين القرن التاسع عشر والقرن الثاني عشر، أمثال: الكندي والخوارزمي والرازي والفارابي والبيروني ...إلخ هؤلاء العلماء.

الفلك:

كان أول من وضع مسمارًا في نعش أفكار أرسطو عن الكون هو اريستاركوس. فقد أثبت أن الشمس هي مركز الكون وأن بقية الكواكب بما فيها الأرض تدور حولها، وكانت هذه الفكرة صادمة للفكر الديني في هذا الوقت مما أدى إلى رفضها ومحاسبته والرجوع إلى فكرة أن الأرض مركز الكون؛ لأنها مقر للآلهة.. حتى جاء كوبرنيكوس وأعاد هذه الفكرة إلى الوجود: "إن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس".

ورغم أن هيباركوس قد كان من أهم المهاجمين لنظرية مركزية الشمس والمؤيدين لمركزية الأرض، إلا أنه أضاف الكثير إلى العلم. فقد زعم هيباركوس أن أقرب مدار حول الأرض (مركز الكون) هو مدار القمر يليه عطارد، تليه الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، فالمشتري، فزحل. وقد صنع خريطة للنجوم تشمل 850 نجمًا قسم بريقها إلى ست درجات مازالت تستعمل حتى الآن. وكان من أعماله العبقرية استعماله المقارنة بين درجة خسوف القمر في أسوان بمقارنتها بمثيلتها في الإسكندرية لحساب المسافة بين الشمس والقمر.

كذلك آثار بطليموس في هذا المجال خاصة كتابه (الماجستي).

التطبيقات التكنولوجية للعلم:

فقد قدمت المكتبة العديد من الاختراعات التكنولوجية منها بريمة أرشميدس (الطنبور) الذي مازال يستعمل حتى الآن.

كما قدم هيرون آلات إطفاء الحرائق، وآلات تستعمل النقود في تحريكها، بل وأهم اختراعاته هي آلات تعمل بالبخار. وقدمت هيباشيا الاسترلاب، وجهازًا مدرجًا من النحاس لقياس الكثافة النوعية.

في الرياضيات والهندسة:

وضع إقليدس في كتابه عن (الأوليات) أسس علم الرياضة والهندسة والمنطق الرياضي، وقد استمر تدريس هذه الأسس التي وضعها إقليدس حتى القرن العشرين. كما أضاف أرشميدس الكثير إلى التكامل الرياضي ووضع أسس التفاضل، كما وضع قانون العلاقة بين الكرة والأسطوانة المحيطة بها وقاعدة قياس مساحة سطح الكرة. كما وضع أرشميدس قانون الأجسام الطافية والغارقة، والذي يقول بأن الفرق بين وزن جسم في الماء ووزنه في الهواء يعادل وزن الماء المزاح، ولما كان وزن الماء يعادل حجمه فإنه بذلك قد استطاع أن يحدد حجم الأجسام بوزنها في الماء والهواء؛ وبهذا أمكن تحديد الكثافة النوعية للأشياء وأولها تاج الملك هيرون الذي كلف بتحديد نسبة الفضة فيه، كذلك درس أرشميدس الروافع ووضع قوانينها.

كذلك وضع ايراتوستينوس ما يطلق عليه «غربال ايراتوستينوس»، والذي مازال يستخدم حتى الآن لتحديد الأرقام الأولية. وكذلك استطاع ابولونيوس وضع أسس دراسة قطاعات المخروطات وأدخل تعبيرات هامة مازالت تستخدم حتى الآن ومنها: القطع المكافئ، والقطع الناقص، والقطع الزائد.

وقد قدمت هذه الدراسات خدمات جليلة للعلوم المختلفة لعل أهمها تمكين كبلر من تحديد مسارات الكواكب والتخلص من آثار أفكار أرسطو وأفلاطون عن المسارات الدائرية، ووضع قوانين كبلر الثلاثة لهذه الحركة وهي القواعد التي أرسلت على أساسها رحلات الفضاء الحديثة.

في الجغرافيا:

لم يكتف اراتوستينوس بإثبات كروية الأرض، بل قاس محيطها بفكرة عبقرية لم يستعمل فيها سوى عصا ومقياس للزوايا ومقياس للمسافة، وكانت نسبة الخطأ في قياساته لا تتعدى 1%. وبهذه الاكتشافات تغيرت خرائط الأرض وأصبحت ترسم على شكل كرة. وافترض ايراتوستينوس إمكانية الوصول إلى الهند من أيبريا ونحن نعلم الآن صحة افتراضه.

كما رسم هيباركوس خطوط الطول ودوائر العرض على الكرة الأرضية وقسمها إلى 360 درجة ما زالت معروفة بها حتى الآن، كما وضع أيضًا أسس علم حساب المثلثات الكروي. وأضاف بطليموس العديد من التفاصيل إلى جغرافيا الأرض، وكانت هذه المعلومات أساس رحلات البحارة العظام أمثال: كولومبوس وماجلان، وكان الفضل في ذلك لوجود (الماجستي) الذي ترجمه العرب.

في الطب:

قام هيروفيليس بوضع القواعد العلمية للعلوم الطبية، وأثبت أن المخ وليس الكبد أو القلب هو مقر العواطف والمشاعر، ووصف الاثنى عشر وأعطاها اسمها، ووصف البروستاتا، كما وصف أجزاء من المخ وأعطاها أسماءها التي ما زالت معروفة باسمه حتى الآن. علاوة على ذلك فقد وضع هيروفيليس أسس علم أمراض النساء، ووصف الدورة الشهرية بأنها ليست مرضًا بل حالة طبيعية، وقال بأن المرأة ليست مخلوقًا ناقصًا بل هي مشابهة تمامًا للرجل. ووصف طبيعة النبض وقاس سرعته باستعمال ساعة مائية، كما جمع كتب أبوقراط وكتب ثمانية مبنية على دراسته الشخصية أيام حكم بطليموس الأول وبطليموس الثاني.

كما يعتبره المؤرخون مؤسس علم التشريح. وجاء بعده ارازستراتوس واصفًا الجهاز العصبي وقسمه إلى أعصاب مختصة بالحركة وأخرى مختصة بالإحساس، وكان يعتقد أن الأعصاب تحتوي في داخلها على سائل يقوم بالوظائف المطلوبة.

كما وصف لسان المزمار وصمامات القلب وصفًا دقيقًا وأعطى أحدهما الاسم المعروف بها حتى الآن.

وكان من بين من أسهموا في تأسيس علم الطب في المكتبة حتى يومنا هذا: جالينوس، بإسهامه في علم التشريح ووصفه لأعصاب الجمجمة. كذلك أثبت بدراسته أن أحد الأعصاب هو المسئول عن الأصوات. كما أثبت أن الشرايين تحتوي على دم، وكان المعروف خلال الأربعمائة سنة السابقة أنها تحتوي على هواء. كما وضع جالينوس أسس علم وظائف الأعضاء التجريبي وسيطرت كتاباته على العلوم الطبية على مدى 1400 عام.

التاريخ:

كان أول كتاب تاريخ يخلو من الخرافات كتاب ايراتوسثينوس وذلك عن تاريخ اليونان منذ حرب طروادة حتى الإسكندر الأكبر. وقام بابوس حوالي عام 320 ق.م بكتابة كتابة الشهير (المؤتمر) مؤرخًا للمكتبة، وسجل فيه كتب إقليدس وأبولونيوس وهيروفيليس وايراتوسثينوس وغيرهم.

اللغويات:

كان ديونيسيوس أول من وضع قواعد علم اللغويات بوصفه لتكوين الجمل ودراسته عن الصوتيات، تلك الدراسات التي أخذ بها الرومان واستعملت بعد ذلك في دراسة اللهجات الأوروبية.

الإسكندرية بين المزج الثقافي واستقلال العلوم:

لاحظنا فيما سبق أن الإسكندرية منذ نشأتها وتحديدًا بناء (المتحف والمكتبة) وهي أصبحت من أهم معاقل الحضارة في العالم القديم، تشترك في ذلك مع موانئ آسيا الصغرى، فقد أصبحت الإسكندرية مركزًا للتحول الثقافي والمعنوي والروحي في العالم كله(1) وبصفة خاصة في العصر الروماني الهلينستي. وإذا كان البطالمة اهتموا بأن تكون الإسكندرية مركزًا ثقافيًا عالميًا ومصدرًا من مصادر الإشعاع الثقافي والعلمي فإنه قد تحقق لهم ذلك بالفعل. فضلًا عن تحقيق البطالمة لدور البحث العلمي وتوفير وسائله المختلفة بإنشاء المتحف والمكتبة حيث جمعوا بالمكتبة كما سبق أن ذكرنا المخطوطات وأوراق العلوم المختلفة بكميات هائلة، وإطلاقهم مسميات علمية على هذه الدور المباني التي تم إنشاؤها لهذا الغرض.

إنهم فتحوا الإسكندرية ومدارسها وأروقتها لاجتذاب المفكرين والفلاسفة والعلماء من كل أنحاء الدنيا، وجعلوا من الإسكندرية وريثة العلوم والفنون وعناصر الفلسفة والثقافة في العالم الإغريقي؛ لذلك نجد تبادل الثقافات والعلوم والفنون المختلفة وتحاورها وامتزاجها في أروقة الإسكندرية بالإضافة إلى عملي التوفيق بين الآراء والمذاهب الدينية من يهودية ومسيحية وهرمسية مصرية وآسيوية وغيرها من المذاهب والتيارات الفلسفية والدينية على اختلاف أشكالها وأنواعها ونوازعها.

ظهرت الحركة التوفيقية في أروقة الإسكندرية كتيارات فكرية وثقافية من ناحيتين رئيسيتين..

أولهما:

أنه بعد أن استغرقت النظريات الفلسفية والأفكار الثقافية والأدبية اليونانية ووضع مبادئ النظر الفلسفي وتحددت معالمه في دراسة وتفسير الوجود الطبيعية والميتافيزيقا والأخلاق، بالإضافة إلى مجمل المبادئ السياسية والاجتماعية على يد فلاسفة اليونان الأوائل من الطبيعيين والسقراطيين، وأفلاطون وأرسطو -المجموعة الرواقية- والأبيقورية ومن سبقهم من الفيثاغوريين، ونقل هذا التراث الفلسفي برمته لدراسته في أروقة مدرسة الإسكندرية.

فقد ظهر مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين عكفوا على شرح وتحليل هذه النظريات الفلسفية والمقارنة بينها، فاحتاج هؤلاء الشراح والمعلقون والدارون لأصول المذاهب الفلسفية اليونانية إلى عملية التوفيق بين النظريات والمذاهب الفلسفية للتقريب بينهم. وتوقفت الحركة الثقافية في مدرسة الإسكندرية في العصر الهلينستي عند هذه النقطة بالذات، وانصب ذلك فيما عرف بالأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الجديدة، بالإضافة إلى المشائية الأرسطية وغنوصيات الرواقية والهرمسية. ولعبت شخصيات فلسفية كبيرة دورًا هائلًا في هذا المجال، مثل: أمونيوس وساكاس وتلميذه أفلوطين وفورفوريوس الصوري ويامبليخوس وايروفلس ويحيى النحوي وغيرهم، وسوف يأتي الحديث عن دور كل منهم في مكانه. وقد انحسر ذلك في ثلاث مدارس كبيرة أهمها مدرسة الإسكندرية(2)، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بإضافات إبداعية وفلسفية جديدة تضاف إلى نظريات الفلاسفة السابقين.

أما الناحية الثانية:

فإنه من خلال العصر الهلينستي أو الروماني الإسكندراني ازداد التحام الثقافتين الشرقية واليونانية وتداخلت مكونات كل منهما مع الأخرى،

فأصبح الشرق هيلينيًا والعالم اليهيليني شرقيًا، ولذلك نلاحظ استبدال العقل الفلسفي بإلهامات الوحي وأحوال النفس ومراسم الدين وطقوسه، والاتجاه إلى المطلق الغيبي الذي يدرك بالشعور والوجدان، كذلك ذابت الفلسفة الهيلينية اليونانية في محيط الدين الواسع الضخم في مجال الميتافيزيقا، والمعرفة والأخلاق والسياسة؛ وعلى ذلك يشهد في هذا الوسط اتجاه بعض الفلاسفة للجمع بين الدين والفلسفة كما عبر عنه الفيلسوف الرواقي «يوزيدوتيوس» في نطاق الرواقية(3). وبناء على ذلك فإن عملية التوفيق في الإسكندرية ظهرت بصورة واضحة في الأوساط الدينية والغنوصية وبصفة خاصة عند فيلون السكندري، وتطور فيما بعد عند لاهوتي وفلاسفة المسيحية.

لقد حدث بعد أن انتشرت الثقافة اليونانية في مصر عن طريق مكتبة الإسكندرية أن أقدم فيلون على تفسير التوراة مستخدمًا أساليب وأفكار الفلسفة اليونانية. وكذلك ظن بعض المؤرخين الفلاسفة أن الفلسفة اليونانية مستمدة من تعاليم التوراة أو من الدين المصري القديم، إذ نجد «تومنيوس» الفيثاغوري يشير إلى أن أفلاطون ليس سوى موسى ينطق باليونانية.

وجدت في هذه الآونة نوع من الانفصال التقليدي بين عناصر التفكير الفلسفي الخالص وما يتبعه من الاتجاهات العلمية، وبين الاتجاهات الثقافية القائمة على نزعات التوفيق بين النظريات والآراء المختلفة.

ومن هنا بدأت العقول المفكرة تتجه إلى اجتذاب النظريات العلمية، ووضع أسس البحث العلمي ومناهجه باستقلالية عن تيارات التوفيق التي لا تعبر عن فكر فلسفي نقي خالص من الخلط والتشويه.

ومما تقدم نستنتج أن الإسكندرية في عصر البطالمة كانت ملجأ للعلم والعلماء، كما كانت مركزًا للتجارة العالمية، فقد أنشأ البطالمة فيها المتحف والمكتبة ليكون بهما جامعة متكاملة ليس لها مثيل في العالم القديم، وفد إليها العلماء من كل جنس كما سبق أن أوضح الكاتب في الأوراق السابقة. وأن مدرسة الإسكندرية قد التزمت جانب دراسة العلوم بصفة عامة والرياضيات والطب والفلك والهندسة وغيرها بصفة خاصة، مع الاهتمام الشديد بالمنطق الأرسطي كأداة للاستدلال العقلي في مجال العلوم، بالإضافة إلى الشروح والتعليقات على مؤلفات أرسطو وأفلاطون(4).

الروافد الفلسفية والعلمية للتراث الثقافي في مدرسة الإسكندرية:

إن حركة التاريخ وما تشمله من تيارات ثقافية وفلسفية ودينية لا تعرف الحدود الجغرافية أو القومية أو الدينية، إذ أن الحلقات الحضارية الإنسانية متصل بعضها ببعض منذ فجر التاريخ وحتى الآن. فقد أخذ اليونان عن المصريين على سبيل المثال مبادئ الطب والتشريح، وهي مبادئ لم يقتصر في مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب، وإنما دونها المصريون في شكل قواعد علمية كما يظهر ذلك بوضوح في عدد من أوراق البردي التي ترجع إلى العصر الفرعوني. كذلك أخذ اليونان عن المصريين المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية نسخة من الاتجاه المصري: الوقفة المتصلبة، والنظرة المتجهة للأمام، والقدم اليسرى المتقدمة قليلًا عن القدم اليمنى. كما أخذ الفنانون اليونانيون منذ القرن السادس ق.م عن معابد مصر عمارة الأبهاء والأعمدة، كما يتضح ذلك من مقارنة معبد الكرنك وبقايا معبد سقارة في مصر بمعبد «البارثينون» في أثينا. كذلك أخذ اليونانيون عن وادي الرافدين مبادئ الرياضيات والتنظير العلمي لها ويتضح هذا في نظريات فيثاغورث الرياضية، كذلك لا ننسى فضل إقليدس ومدرسة الإسكندرية كما سبق أن أشرنا على علم الهندسة وحساب المثلثات. كما كان

للتأثير السوري والحروف الهجائية الفينيقية وحركات تشكيلها أثر على الحركات الصوتية اليونانية، وقد كان للاكتشافات الأثرية للطراز المعماري لمجموعة التماثيل والمدن التي تقع شمال غربي الجزيرة العربية والأردن مثل: مدينة العلا ومدائن صالح، ومجموعة النقوش على العملات النقدية ببلاد اليمن وغيرها أثر كبير في توضيح ما كان للفن اليوناني من تأثير على الشكل الثقافي والحضاري في هذه البلاد؛ مما يوضح وبجلاء على التواصل الحضاري الثقافي بين الأمم والشعوب اليونانية والشرقية(5).

واكتملت الدورة الحضارية بعد فتح الإسكندر لبلاد الشرق ومن ثم بناء الإسكندرية ومعهدها ومكتبتها، فلا ينكر أحد ما كان للتأثير الحضاري والثقافي اليوناني علي الشرق الذي تمثل في جوانب العلوم والفنون والإدارة أو الفلسفة؛ مما شكل حوارًا ثقافيًا وحضاريًا انصهر في بوتقة الفكر الفلسفي والثقافي والعلمي في مدرسة الإسكندرية القديمة بصفة خاصة ومكتبتها القديمة، والتي كانت تعتبر حتى الفتح العربي لمصر معبرًا حضاريًا وثقافيًا وفلسفيًا لالتقاء حضارة اليونان وثقافتهم وفلسفاتهم مع ثقافات وديانات الشرق القديمة(6). بالإضافة إلى كون الإسكندرية مصدر إشعاع ثقافي بارز في منطقة الشرق الأدنى في كل فروع العلم والفكر والفن والأدب والفلسفة

لقرون طويلة، فلقد استمرت مكتبة الإسكندرية ومدرستها في نشر الثقافة في المنطقة، واستمرت في تأدية هذا الدور الذي شكل حوارًا حضاريًا ثقافيًا ودينيًا حتى بداية العصر الإسلامي حين بلغت الترجمة من اليونانية إلى العربية في عصر الخليفة المأمون ذروتها، وانتقل هذا الإشعاع إلى بغداد لفترة طويلة بعد مدرسة الإسكندرية، ولم تكن الثقافة فى الإسكندرية وليدة عصرها فحسب بل حصيلة تراكمات ثقافية وفلسفية متواصلة ومنحدرة من أصولها الأولية في العصر اليوناني الأثيني، وبصفة خاصة بعد فتح الإسكندر لبلاد الشرق وتأسيس الإسكندرية التي ورثت فيما بعد ثقافة مصر وفلسطين واليونان(7).

فكانت الإسكندرية بمتاحفها ومكتبتها ومجامعها العلمية منفتحة على كل الجهات والثقافات المختلفة، واحتلت الإسكندرية مكانة أثينا وأصبحت مزارًا عالميًا وحضاريًا لكل الجهات والأجناس من مختلف الديانات. وفيها التقت العناصر العبرانية اليهودية مع العناصر اليونانية والمصرية والآسيوية الفينيقية والسورية والأفريقية الإثيوبية، لقد كانت الخطة التي انتهجها البطالمة في سبيل تحقيق هذه الغاية إنشاء دار خاصة للدراسة والبحث، تلك الدار هي المتحف والمكتبة التي نحن بصدد الحديث عنهما في هذا الكتاب.

وإذا كانت التيارات الفكرية في القرن الأول والثاني الميلادي قد امتزجت وتعارفت وتحاورت -وقد حدث هذا في ظل مدرسة الإسكندرية- بأنه عصر التداخل والتنافذ والحوار بين حضارة الإغريق وحضارة الشرق، وقد احتل يهود الإسكندرية وعلى رأسهم «فيلون» مكانًا مرموقًا في بادئ الأمر، ثم كان دور المسيحية. وفي القرن الثاني ازدهر أدب وحوار العقيدة المسيحية من أمثال بوستينوس وثاسياندس وارنايوس(8).

وإذا كان من أعظم مظاهر النشاط الفكري والعلمي والثقافي أن طغت في الإسكندرية شهرة المتحف والمكتبة اللذين أسستهما الحكومة البطلمية على صيت معهد أرسطو في أثينا باعتباره المركز الهيليني العالمي للدراسات اللغوية والعلمية(9)؛ فإن ما قام به الإمبراطور «هادريان» كان شديد الحماس للحضارة اليونانية حيث زار الميسون والمكتبة بالإسكندرية، وشهد ندوات العلماء والفلاسفة هناك، بل واشترك في مناقشاتهم. وبمناسبة هذه الزيارة الإمبراطورية للإسكندرية ومتاحفها ومكتباتها؛ ازداد عدد العلماء والفلاسفة والأدباء والمثقفين من جميع الأجناس والمذاهب، وقام بتعيير كثير منهم، ومنهم من كان من الفلاسفة المتجولين الذين لا يقيمون في الإسكندرية فكانوا أشبه بأعضاء مراسلين للمسيون(10).

وإذا اتجهنا للكشف عن روافد الفكر العلمي والفلسفي في مدرسة الإسكندرية وخصائصه الفكرية؛ فخير لنا أن نشير إلى ما أسهمت به العقول المصرية في مجال الثقافة والعلم في العصر الروماني. فمن مصر نبغ كثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة منهم على سبيل المثال: اثينايوس ونقراطيس وأفلوطين. وربما كان للمصريين علماء وفلاسفة وأصحاب ديانات ومشاركة حضارية وثقافية في العصر الروماني أكثر من العصر البطلمي، والذي ظهرت خلاله حركات الأدب والفكر الهيليني لتركيز أصول الثقافات الهيلينية اليونانية بعد فتح الإسكندر الأكبر لمصر وبلاد الشرق.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد في مجال العلم: حافظت الإسكندرية علي حمل مشعل التقدم، وأشهر علماء هذه الفترة من غير منازع بطليموس الجغرافي الذي ذاع صيته أو شهرته بين علماء العرب فيما بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر، وهو من أبناء مصر في القرن الثاني الميلادي فيما ذهب بعض المؤرخين(11). ويعتبر قمة في علم الجغرافيا، وكذلك الرياضيات وعلماء الفلك والطبيعة. وامتازت بحوثه ودراساته عن سابقيه من اليونان أن دراسته في الجغرافيا كانت على أسس رياضية وفلكية، وعمل خريطة للعالم وضح عليها الأماكن والأقاليم بنسب وأبعاد صحيحة؛ وبذلك كانت أبحاثه ممهدة لعلوم الفلك والجغرافيا الحديثة. والثابت أن الدراسات الفلكية قد استكملت في مدرسة الإسكندرية(12).

أما في مجال الدراسات والبحوث الفلسفية، فمما لا شك فيه أن من أشهر ما تتميز به الإسكندرية في العصر الروماني هو الحركة الفلسفية وما شهدته من حوار ثقافي فلسفي بين المذاهب الدينية وبين روافد التفكير الفلسفي الهيليني اليوناني من رواقية وأبيقورية وفيثاغورية ومشائية وغيرها، فمثل هذه الحركات الفكرية والفلسفية لم تمكن لتظهر بشكل واضح في العصور الأولى من عهد المكتبة إبان الحكم البطلمي لمصر خوفًا من انتشارها، بل اشتد الجدل والنقاش وظهر الحوار الجاد بين التيارات الفكرية والثقافية في العصر الروماني، وإن لم يكن أباطرة الرومان أهل جدل وفلسفة بطبيعتهم لكنهم لم يحرموا الاشتغال بها، ولم يضيقوا بها ذرعًا، بل تعرف بعضهم على روافدها ومنابعها ومذاهبها. وفي الإسكندرية وجدت البيئة الصالحة لبث الأفكار والمذاهب الفلسفية، والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب الدينية منذ القرن الأول الميلادي. واستمر هذا الجدل والحوار بين الجانبين الفلسفي والديني في القرون الثلاثة الأولى للميلاد.

ولعل أهم الديانات التي حاورت وعاصرت الحركات الفلسفية وتياراتها اليهودية والمسيحية؛ لذا يعتبر فيلون اليهودي السكندري الذي عاش في منتصف القرن الأول ق.م. والنصف الأول من القرن الأول الميلادي أول

فيلسوف لاهوتي ديني في مدرسة الإسكندرية. إذ قام بمحاولة تسويغ دينه للعقل الجديد مستعينًا بالفلسفة اليونانية على شرح الموسوية، فهو يبدأ بموقف ديني ثم يتطرق منه إلى الدليل الفلسفي على صدق الدعوة الدينية. فقد كتب فيلون السكندري شرحًا ضخمًا على التوراة قاصدًا أن يبين لليونان أن الكتاب المقدس يحتوي على فلسفة أقدم من فلسفتهم، وأدمج في شرحه آراء فلسفية مختلفة المصادر من الأفلاطونية والرواقية والفيثاغورية والأرسطية(13).

أما الفيلسوف الكبير الذي التحق بمدرسة الإسكندرية وتعلم الأصول الأولى للفلسفة الأفلاطونية بها هو «أفلوطين»، وهو مصري الجنسية من أسيوط بصعيد مصر. في القرن الثالث الميلادي ظهر في وقت اشتد فيه الجدل والحوار بين الثقافات الوثنية متمثلة في الروافد الفلسفية اليونانية وبين الدين المسيحي الجديد؛ لذلك تصدى أفلوطين لحل مشكلة الدين عن طريق الفلسفة، لذلك حاول الجمع بين الأفكار الفلسفية أو الأفلاطونية وبين الفكر الشرقي أو الدين متمثلًا ذلك بالمسيحية التي اعتنقها وصار أحد أبنائها، إذ نجده يعتمد على فلسفة أفلاطون والفيثاغورية الجديدة إلى جانب نظرية الفيض الإلهي الشرقي، محاولًا الاتجاه إلى الواحد الأول، ملتمسًا

طريق الفيض الإلهي الإلهامي ومتشوقًا إلى الوحدة الإلهية والاتحاد بالوحدة والانجذاب إليه. وفي هذه الفترة لم يكن كل من كليمنت، وأوريجين السكندريين ببعيدين عن معترك الحياة الفكرية والثقافية والجدل الدائم والمستمر بين التيارات الفلسفية والأفكار والمعتقدات الدينية المختلفة وبصفة خاصة الدين المسيحي، والغنوصيات الهرمسية التي كانت في مدرسة الإسكندرية.

فقد حدثت محاورات وظهر جدل عقلي وديني بين هذه التيارات الفلسفية والغنوصية وبين المسيحية، غير أن أهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها مدرسة الإسكندرية في أفكارها وحوارها الفلسفي الفكري في مرحلتها، والتي تسمى في تاريخ الفكر السكندري بمرحلة «الهيلينستية السكندرية» المزج بين الفكر الثقافي والفلسفي اليوناني الهيليني وبين الروح الشرقية الدينية، مع الإذعان لعوامل البساطة والسمو الأخلاقي، وتمجد الروح الدينية والعقائدية، والتوفيق بين التيارات الثقافية الوافدة والمحلية لما فيه من آثار غنوصية ودينية، وتقابل الشرق الديني الغنوصي بالغرب الهيليني اليوناني في قاعات البحث والدراسة في معابد الإسكندرية ومتاحفها(14).

وإذا كان ضمن مميزات أو خصائص الحوار الفكري الثقافي عملية الخلط

والمزج بين الأفلاطونية والتراث الشرقي الديني، فقد وجدت هذه التيارات الفلسفية في ظل مدرسة الإسكندرية قبولًا وإقبالًا من الكثيرين، وظهرت تأثيراتها في القول «بوحدة الوجود»(15) لدى مفكري وفلاسفة وصوفية من اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء.

ومما لا شك فيه أن مدرسة الإسكندرية عندما أصبحت هي وريثة الفكر الفلسفي والحوار الثقافي والجدل الديني بعد مدرسة أثينا اليونانية، اكتسبت طابعًا متطورًا يجعلها متميزة عن سابقتها وهي الأفلاطونية المحدثة (الجديدة)، والتي صبغت طريقة الجدل والحوار الفكري الثقافي بالميل إلى البساطة في الاتجاه الميتافيزيقي. كما أن مبدأ الزهد فقد أهميته في الإسكندرية(16)، واتجه التفكير الفلسفي والحوار الحضاري اتجاهًا عمليًا أكثر منه نظريًا، بالإضافة إلى التزام الدقة والتحديد في البحوث الرياضية والطبيعية مع إهمال فكرة تعدد الآلهة، وذيوع الروح العلمية وحركاتها الدقيقة.

1– د/ نجيب بلدي – تمهيد لتاريخ مكتبة الإسكندرية، ص 35.

2– من هذه المدارس: الصورية وكان زعيمها يامبليخوس، ومدرسة اثيناروس وزعماؤها ايروفليس وتامسطيوس.

3– د/ محمد علي أبو ريان –تاريخ الفكر الفلسفي– ج2 «أرسطو والمدارس» ص 353.

4– د/ محمد علي أبو ريان –تاريخ الفكر الفلسفي– ج2 «أرسطو والمدارس» ص 313.

5– د/ لطفي عبد الوهاب –اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، ص 20–40، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

6– ول ديورانت –قصة الحضارة– مجلد 1 الشرق الأدنى ج2، ص 47.

7– نفس المصدر.

8– اميل برهييه –تاريخ الفلسفة– ج2 «الفلسفة الهلينستية والرومانية» ص 197.

9– ارنولد توينبي – تاريخ الحضارة الهيلينية، ص 239.

10– د/ مصطفى العبادي – مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ص 269.

11– المصدر السابق ص 272.

12– د/ محمد علي أبو ريان ص 35.

13– د/ إبراهيم مدكور – د/ يوسف كرم – دروس في تاريخ الفلسفة ص 44.

14– د/ زكي نجيب محمود – أحمد أمين – قصة الفلسفة اليونانية، ص 338.

15– د/ محمد الفيومي – التطور التاريخي لمعني الفلسفة ص 110.

16– د/ محمد البهي – الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص 193.

الفصل الرابع

حريق المكتبة

هناك قصص كثيرة عن حريق مكتبة الإسكندرية القديمة، وتدور معظمها حول ثلاثة تواريخ هامة لحرق المكتبة: أولها في العام 48 ق.م على يد يوليوس قيصر، والتاريخ الثاني على أيدي البطاركة الرومان في العام 399 ميلادية، والتاريخ الثالث في فتح مصر في القرن السابع الميلادي على يد عمرو بن العاص. وسوف يحاول الكاتب في هذا الفصل تفنيد تلك القصص والروايات حول حريق المكتبة.

أولاً: حريق المكتبة على يد يوليوس قيصر 48 ق.م

هناك العديد من المؤرخين يتهمون يوليوس قيصر بحريق مكتبة الإسكندرية القديمة؛ عندما أمر جنوده بإحراق السفن الراسية على الميناء الشرقي وطالت هذه النيران المكتبة فأحرقت معظمها. إلا أن هناك كثير من المعلومات التي تنفي هذه الرواية، وسوف نعرض لها.

أحد أهم أسانيد هذا الادعاء هو ما دونه يوليوس قيصر نفسه في كتابه (حرب الإسكندرية) من أن النيران التي أشعلها جنوده لإحراق الأسطول

المصري الموجود في ميناء الإسكندرية قد امتدت لتلتهم مخزنًا مليئًا بأوراق البردي يقع قريبًا من الميناء. ولكن من الدراسة الجغرافية لموقع مكتبة الإسكندرية في حي بروخيون بعيدًا عن الميناء يتضح أن هذا المخزن يستحيل أن يكون المكتبة. كما أن شبهة حرق يوليوس قيصر لمكتبة الإسكندرية من السهل دحضها من خلال قراءة كتاب الجغرافيا للمؤرخ سترابو الذي زار الإسكندرية حوالي سنة 25 ق.م، والذي يستمد مادته العلمية من المصادر التاريخية التي كانت موجودة في مكتبة الإسكندرية في ذلك الوقت. وبالإضافة لذلك فإن سيسرو أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية، والذي عُرف بعدائه الشديد ليوليوس قيصر لم يذكر إطلاقًا واقعة إحراق يوليوس قيصر لمكتبة الإسكندرية في كتابه الشهير (فيليبيس)؛ مما يعد دليلًا إضافيًا على براءة يوليوس قيصر من تلك التهمة.

ورغم ذلك فإن بعض المؤرخين يتفقون على أن يوليوس قيصر هو بالفعل من قام بإحراق مكتبة الإسكندرية، وأحد هؤلاء المؤرخين هو بلوتارخ في كتابه (حياة قيصر) الذي كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي، والذي ذكر فيه أن مكتبة الإسكندرية قد احترقت بفعل الحريق الذي بدأه يوليوس قيصر لتدمير الأسطول المصري المرابط في ميناء الإسكندرية. وفي القرن الثاني الميلادي، وفي كتابه **Attic Nights** يذكر المؤرخ الروماني اولوس

جليوس أن المكتبة الملكية السكندرية قد أُحرقت بطريق الخطأ عندما أشعل بعض الجنود الرومان التابعين ليوليوس قيصر بعض النيران. وفي القرن الرابع يتفق المؤرخان الوثني اميانوس مرسلينوس، والمسيحي اوروسيوس على أن مكتبة الإسكندرية قد أُحرقت خطأً بسبب الحريق الذي بدأه يوليوس قيصر. ولكن في الغالب هنا أن وهؤلاء المؤرخين قد خلطوا بين الكلمتين اليونانيتين **bibliothekas** بمعنى مجموعة من الكتب و **bibliotheka** بمعنى مكتبة؛ وعلى هذا فقد ظنوا أن ما كُتب سابقًا عن حرق بعض الكتب القريبة من الميناء والموجودة في بعض المخازن هو حرق لمكتبة الإسكندرية الشهيرة.

وعلى هذا، وبالنظر لما كتبه المؤرخون الرومان السالف ذكرهم، فمن المرجح أن المكتبة الملكية السكندرية قد أُحرقت بعد زيارة سترابو للمدينة حوالي 25 ق.م، ولكن قبل بداية القرن الثاني الميلادي وإلا ما كان هؤلاء المؤرخون قد ذكروا حادثة حرقها ونسبهم إياها خطأً ليوليوس قيصر. والنتيجة هي أن المكتبة قد دُمرت في الغالب بفعل شخص آخر غير يوليوس قيصر، ولكن الأجيال التالية للحادثة اعتادت الربط بين الحريق الذي وقع في الإسكندرية إبان وجود يوليوس قيصر فيها وبين إحراق المكتبة.

ولكن من المعروف أن مكتبة الإسكندرية الملكية، أو المتحف كما يُطلق عليها حيث كانت تضم أصول العديد من أمهات الكتب في العالم، لم تكن المكتبة الوحيدة الموجودة في مدينة الإسكندرية، بل كانت هناك مكتبتان أخرتان على الأقل: مكتبة معبد السيرابيوم، ومكتبة معبد السيزاريون. واستمرار الحياة الفكرية والعلمية في الإسكندرية بعد تدمير المكتبة الملكية، وازدهار المدينة كمركز العلوم والآداب في العالم ما بين القرن الأول الميلادي والقرن السادس الميلادي، قد اعتمدوا على وجود هاتين المكتبتين وما احتوتاه من كتب ومراجع. ومن الموثق تاريخيًا أن المكتبة الملكية كانت مكتبة خاصة بالأسرة المالكة وبالعلماء والباحثين، بينما كانت مكتبتا السيرابيوم والسيزاريون مكتبتين عامتين مفتوحتين أمام عامة الشعب.

إن المؤرخ اميانوس مارلينوس(1) الذي أخبرنا في زمنه، أي في القرن الرابع الميلادي، عن شهرته في أنه درس الطب في الإسكندرية وكان ذلك أحسن تزكية يمكن أن ينالها طبيب في ذلك العهد. فقد قيل إن آخر امرأة من نساء البطالمة وأذكاهن وهي كليوباترا السابعة قد حضرت مجالسهم العلمية باهتمام، وقد كان حضور «مركاس انطونيوس» زوج كليوباترا لمناقشاتهم سواء كان ذلك طوعًا أو كرهًا منه لإرضاء الملكة أو قد يكون نتيجة لإلحاح منها. هذا وقد يكون من باب الخطأ إذن أن نعد إهداء «كليوباترا» مائة ألف

اضمامة كان قد نهبها مركاس انطونيوس من مكتبات مدينة «برجام» نوعًا من التعبير عن الإخلاص للعلم من ناحيته، بل محتمل أن الهدية كانت مجرد إظهار الولاء والإخلاص لهذه الملكة الساحرة(2). من خلال هذا النص يتضح أن المكتبة كانت ما تزال تقوم بدورها حتى القرن الرابع الميلادي. بما يشكك أيضًا في رواية فناء المكتبة كاملة أثر الحريق الذي نشب في عهد يوليوس قيصر، وأن ما تم تلفه أو إحراقه في هذا الحريق هو المكتبة الملكية وليس مكتبة السرابيوم كما تقدم.

ويقدم لنا سليم حسن في موسوعته الشهيرة (مصر القديمة) خلاصة للقول في هذا الخصوص: بأننا إذا أردنا أن نصر على إيجاد صورة تفسر لنا كارثة اختفاء مكتبة الإسكندرية القديمة؛ فإن المنطلق السليم يتطلب منا تفسير كيفية اختفاء المكتبات الأخرى القديمة اختفاء تامًا. وقد يتساءل المرء ماذا حدث لمكتبات: برجام، وروما، ورودس، ومرسيليا؟ ولا نزاع في أن اختفاء هذه المكتبات القديمة يرجع إلى سبب بسيط، وهو أن الكتب مثلها مثل الملابس أو الحذاء فإذا استعملتها بليت، ومن ثم فإن الكتب التي تبلى ولا يستبدل بها جديد غيرها تضيع إلى الأبد. وعلى ذلك فإن فقدان الكتب باستهلاكها دون وضع نسخ جديدة بدلًا منها يستلزم حتمًا أن تتلاشى المكتبة على مر الزمن(3).

ويرى الكاتب أن نظرية فناء الكتب بالاستهلاك صحيحة إلى حد ما، ولكن هذا الفناء التام لا يحدث بهذه الطريقة؛ فمن المؤكد أن هناك أيدي أنهت المكتبة وما تحتويه. فمكتبة بهذا الحجم كانت تمارس دورها في تأسيس العلم والمعرفة وتحتفظ بأهميتها في العالم حتى القرن السادس الميلادي لابد لنا أن نبحث عن الأسباب التي أدت إلى زوالها.

ثانيًا: فناء المكتبة في القرن الرابع الميلادي

هناك رواية تقول بأن مكتبة الإسكندرية القديمة قد هدمت وقضى عليها ونهبت في عام 366م حين أحيل المعبد إلى كنيسة. ومثل هذا حدث لمكتبة السيرابيوم والتى قضى عليها عام 399م في عهد «ثيوزوسيوس الأول». ولم يكن في الإمكان وجود مدرسة فلسفية أو مكتبة عامة بالإسكندرية في نهاية القرن الرابع الميلادي؛ إذ أن التعصب الديني قد اشتد وطؤه فجعل الحياة صعبة بالنسبة للمعلمين والطلاب الوثنيين. ولكن فيما أشار ماسبيرو في كتابه (أوراق بردي يونانية من العصر البيزنطي) إلى وجود بعض المدارس والمكتبات واستمرارها؛ لأن أوراق البردي البيزنطية تتحدث عن متاحف للدراسة وأكاديميات في الإسكندرية حوالي عام 500م. وقد كان «امونيوس بن هرمياس» تلميذ «ايرقلس» وأحد الأفلاطونيين المحدثين

رئيسًا لإحدى المدارس، وكان العرب يعرفونه وكذلك تلاميذته منهم: سنيليقوس واسقلييوس وثيودرتس ويحي النحوي، وقد كان زكريا المدرس أحد هؤلاء الطلاب أو المعلمين في نهاية القرن الخامس الميلادي، وكذلك صديقه سويرس. أما في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، فكان ليحيى النحوي شهرة كبيرة وواسعة كأكبر شخصية علمية في الإسكندرية. وإلى جانب هؤلاء العلماء -الفلاسفة الإسكندرانيين- تخرج في مدرسة الإسكندرية في القرن السادس الميلادي الطبيب الفيلسوف سرجيوس، والطبيب ايتيوس الأمدي. وفي أوائل القرن السابع كان بالإسكندرية من الأطباء بولس الاجنايطي. وقد كان لكتب هؤلاء العلماء الفلاسفة تأثير كبير في دراسات العرب الأولى(4).

ويشعر الكثير من الباحثين أن الأكاديمية العلمية القديمة في الإسكندرية قد ازدهرت وظهر بها مبادئ جديدة لتدريس الطب مستندة إلى آراء جالينموس الرئيسية، يضاف إلى ذلك أن تلاميذ الإسكندرية لخصوا كتابات قرن بها اسم أبقراط، وذلك في الفترة التي سبقت الفتح العربي الإسلامي(5). كما تشير مصادر المؤرخين للعلوم في الإسكندرية إلى أهم الشخصيات الطبية والتي حملت مشاعل العلوم الطبية، وألفوا الجوامع

ورتبوا المقالات الطبية لجالينوس ومدرسته، فيذهب القفطي(6) وابن أبي أصيبعة(7) إلى القول: «والإسكندرانيون هم الذين رتبوا بالإسكندرية دار العلم، ومجالس الدرس الطبي، وكانوا يقرأون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذي تقرأ به اليوم عليه وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها، ويسهل على القارئ حفظها وحملها في الأسفار، فأولهم على ما رتبه إسحق بن حنين: اصطفين السكندري، وجالينوس، وانقلاؤس، ومارنيوس. وهؤلاء الأربعة عمدة الأطباء الإسكندرانيين، وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير(8).

ثالثًا: حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص

هناك الكثير من المصادر التي أكدت على أن عمرو بن العاص هو من أمر بحرق مكتبة الإسكندرية القديمة، والتي سيحاول الكاتب عرضها ومناقشتها في الصفحات التالية...

1- عبد اللطيف البغدادي في كتابه (لإفادة والاعتبار):

يقول عبد اللطيف البغدادي: "وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده، وأنه دار العلم التي بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن من عمر رضي الله عنه"(9).

2- ابن القفطي في كتابه (مختصر تاريخ الحكماء):

حيث يقول ابن القفطي: "كان هناك في ذلك الوقت رجل يقال له يحيى النحوي، المصري السكندري تلميذ شاواري، كان أسقفًا في كنيسة الإسكندرية بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث، ولما قرأ كتب الحكمة واستحال عنده؛ جعل الواحد ثلاثةً والثلاثة واحدًا، ولما تحققت الأساقفة بمصر رجوعه، عز عليهم ذلك فاجتمعوا إليه وناظروه فغلب وزيف طريق، فعز عليهم جهله واستعطفوه وأنسوه وسألوه الرجوع عما هو عليه وترك إظهار ما تحققه وناظرهم عليه، فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت، وعاش إلى أن فتح ابن العاص مصر والإسكندرية. ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له من النصارى، فأكرمه عمرو وعرف له موضعًا، وسمع كلامه في التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضًا في القضاء والدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله. وكان عمرو عاقلًا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يكاد يفارقه. ثم قال له يحيى يومًا: أنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت على كل الأصناف الموجودة بها، فأما ما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا نفع لكم به فنحن أولى به، فأمر بالإفراج عنها.

فقال له عمرو : وما الذي تحتاج إليه؟

فقال يحيى: كتب الحكمة في الخزائن الملكية، وقد أوقفت الحوطة عليها، ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها.

فقال له عمرو : ومن جمع هذه الكتب؟

فقال له يحيى: إن بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حبب إليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلًا يعرف بزميرة، وتقدم إليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغ في أثمانها وترغيب تجارها في نقلها. ففعل ذلك فاجتمع من ذلك في مدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابًا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة: أترى بقى في الأرض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة: قد بقى في الدنيا شيء كثير من السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك، وقال له: دم علي التحصيل، فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا.

فاستكثر عمرو ما ذكر يحيى وعجب منه، وقال: لا يمكنني أن آمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى الذي ذكرناه، وأستأذنه ما الذي يصنع فيها، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وإما الكتب التي ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وأن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة لنا بها، فتقدم بإعدامها.

فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمامات الإسكندرية، وأحرقها في مواقدها، وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فتذكروا أنها استنفدت في ستة أشهر، فاسمع وأعجب"(10).

3- أبو الفرج الملطي في كتابه (تاريخ مختصر الدول):

حيث يقول: في هذا الزمان اشتهر بين الإسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس أي النحوي، وكان اسكنرانيًا يعتقد اعتقاد النصارى ...إلخ الرواية السابقة لابن القفطي، وقد أخذ عنه المستشرق ا. ج بتلر هذه الرواية في كتابه فتح مصر.

4- إيجون لارسن (تاريخ التكنولوجيا- الكلمة المطبوعة):

يعد كتاب إيجون لارسن بعيدًا كل البعد عن الموضوع الذي نحن بصدده لكن أتى ذكر مكتبة الإسكندرية القديمة في كتابه كما يلي: "تعرضت مكتبة الإسكندرية العظيمة للتخريب ثلاث مرات: كانت المرة الأولى عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة في القرن الأول قبل الميلاد، وكانت المرة الثانية عندما بدد ثيوفليوس بطريق الإسكندرية مجموعة المخطوطات القيمة في عام 390 ميلادية، وكانت المرة الثالثة أثناء الفتح الإسلامي في عام 642م"(12).

5- جورجي زيدان:

حيث يقول جورجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي): "أنشأ البطالمة في القرن الثالث قبل الميلاد مكتبة في الإسكندرية جمعوا إليها كتب العلم من أقطار العالم المتمدن في ذلك الحين، وتوالى على هذه المكتبة أحوال كثيرة من أيام الرومان إلى الفتح الإسلامي، وقد ضاعت بين إحراق ونهب. والمؤرخون من العرب وغيرهم مختلفون في كيفية ضياعها، فمنهم من ينسب إحراقها إلى عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب، ويستدلون على ذلك ببعض النصوص العربية وأشهرها أقوال أبي الفرج المالطي وعبد

اللطيف البغدادي والمقريزي وحاجي خليفة". ثم يستطرد جورجي زيدان أدلته وأسباب اقتناعه بأن عمرو بن العاص هو الذي أحرق مكتبة الإسكندرية القديمة بأمر من عمر بن الخطاب في الأسباب الآتية:

1- رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن، استنادًا إلى الأحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة.

2- جاء في تاريخ مختصر الدول لأبي فرج المالطي عند كلامه عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصه: "وعاش يحيى النحوي إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر ...إلخ الرواية التي قدمناها من قبل".

3- ورد في أماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر إحراق مكتبات فارس وغيرها على الإجمال، وقد لخصها صاحب (كشف الظنون) في عرض كلامه عن علومه الأقدمين بقوله: "إن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم كتب سعد ابن أبي وقاص إلى عمرو بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين. فكتب عمر «رضي الله عنه»: أن اطرحوها في الماء، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه، وإن يكن ضلالًا فقد كفانا الله تعالى. فطرحوها في الماء أو في النار، فذهبت علوم الفرس"(13). وجاء في أثناء كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم: "أنهم أحرقوا ما وجدوا من

الكتب في فتوحات البلاد"(14). ولابد من أصل نقل صاحب كشف الظنون عنه، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "فأين علوم الفرس التي أمر عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» بمحوها عند الفتح"(15).

4- إن إحراق الكتب كان شائعًا في تلك العصور تشفيًا من العدو أو نكاية فيه، فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرها، كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه (213 هـ) من مؤلفات المجوس، وقد عرضت عليه فلما تبين حقيقتها أمر بإلقائها في الماء، وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئًا من كتب المجوس فليعدمه.

ولما فتح هولاكو التتري بغداد سنة 656هـ أمر بإلقاء كتب العلم التي كانت في خزائنها في دجلة، وكانت شيئًا لا يعبر عنه، مقابلة في زعمهم بما فعل المسلمون الأول في الفتح الإسلامي بكتب الفرس وعلومهم، وقال آخرون أنه بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضًا عن اللبن. والأرجح أنه أغرقها انتقامًا من أهل السنة(16). وفي نفس المصدر: "لما فتح الإفرنج طرابلس الشام أثناء الحروب الصليبية أحرقوا مكتبتها بأمر من الكونت برترام سنت جيل، وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن، فأمر بإحراق المكتبة كلها وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد، ودفع الإسبان

نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدي المسلمين في أواخر القرن الخامس عشر".

5- إن أصحاب الأديان في تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة وإحراق كتب أصحابها من قبيل السعي في تأييد الأديان الجديدة، فأباطرة الروم حالما انتصروا أمروا بهدم هياكل الأوثان في مصر وإحراقها بما فيها الكتب وغيرها، وكان خلفاء المسلمين إذا أرادوا اضطهاد المعتزلة وأهل الفلسفة أحرقوا كتبهم، والمعتزلة كثيرًا ما كانوا يتجنبون ذلك تحت خطر القتل فيستترون ويجتمعون سرًا والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم، ومن أشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزنوي لما فتح الري وغيرها سنة 420 هـ؛ فإنه قتل الباطنية ونفى المعتزلة وأحرق كتب الفلاسفة والاعتزال والنجامة.

1– سوف نقوم بالتعرف عليه في ملحق هذا الكتاب «أعلام ومفاهيم».

2– سليم حسن –موسوعة مصر القديمة– ج14 ص 249.

3– نفس المصدر، ص 260.

4– ماكس مايرهوف –من الإسكندرية إلى بغداد (بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب)– ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص 40 ترجمة عبد الرحمن بدوي.

5– د/ ماهر عبد القادر –حنين بن اسحق– العصر الذهبي للترجمة ص 4، دار النهضة بيروت 1987.

6- القفطي – أخبار الحكماء.

7- ابن أبي اصيبعة – طبقات الأطباء.

8- ماكس مايرهوف ص 48، 49.

9- عبد اللطيف البغدادي (558هـ، 1162م- 629هـ- 1231م)- الإفادة والاعتبار- ولد وتوفى ببغداد، من أسرة موصلية، وزار دمشق والقاهرة والقدس وحلب. اهدى كتابه هذا إلى الملك العادل أيوب.

10- ابن القفطي (568هـ، 1172م- 646هـ، 1231م) هو أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني –موسوعي ومؤرخ وأديب وفقيه مصري، ولد في فقط من نواحي قنا.

11- أبو الفرج الملطي (624/ 658هـ- 1286/ 1226م) ولد في ملطية (مدينة تركية قرب الفرات) في عائلة يهودية من أصل أنطاكي، والده اعتنق المسيحية وقد عين راهبًا في أنطاكيا ثم أسقفا لملطية ثم حلب ثم بطريركا لعامة المشرق.

12- ايجون لارسن – تاريخ التكنولوجيا ص 309.

13- مصطفى بن عبد الله –كشف الظنون- ج1، ص 446.

14- نفسه ص 25.

15- ابن خلدون ج1 ص 32.

16- ابن خلدون ج3، ص 537، ج5، ص 543.

تعريفات أبيقورية

مذهب أبيقور (351-270 ق.م):

ومؤداه أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحده الشر الأقصى. ويقر اللذة الحسية لأن الإنسان كالحيوان يسعى إلى لذائذه بفطرته، ولكنه حول اللذة الحسية إلى مذهب في الزهد لأنه رأى أن كل لذة خير ما لم تقترن بألم فتصبح شرًا، وأن الألم إذا نجمت عنه لذة وجب طلبه، فاللذة عنده تجمع بين الزهد والمنفعة. وقد دعا إلى الحياة السعيدة دون أن تستعبد الإنسان شهوته، وهو بهذا يؤثر اللذات العقلية والروحية على اللذات الجسمية والحسية، يقول أبيقور: "الفلسفة محاولة جعل الحياة سعيدة بالنظر والمعرفة".

أرسطية:

جملة المذهب الأرسطى كما صوره صاحبه، وهو أوضح صورة لفلسفة المعاني وامتداد للأفلاطونية، مع الإلمام التام بالآراء الفلسفية السابقة، والتعويل على التجربة، والاعتداد بالعالم الحسي، وتضيف المشائية إليه آراء التلاميذ والشراح، وهي أوسع مذهب ميتافيزيقي عرف في التاريخ القديم والمتوسط، ثم امتد أثره إلى اليوم.

الأفلاطونية:

مذهب أفلاطون، وهو أوضح صورة للمثالية قديمًا، وعنه أخذت المثاليات المختلفة في التاريخ المتوسط والحديث. ويتميز بتعويله على الرياضة موضوعيًا وأخذه بالجدل منهجيًا، وتصويره للحياة الإنسانية تصويرًا روحيًا وإيمانيًا بقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

الأفلاطونية الحديثة:

مذهب أفلوطين وأتباعه، وأساسه القول بالواحد الذي صدر عنه الكثرة وفيه نزعة صوفية تمزج الفلسفة بالدين. وقال بالمذهب مدرسة الإسكندرية من القرن الثالث الميلادي إلى القرن السادس الميلادي، ويمتاز بنزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة مع الاعتداد بأفلاطون خاصة.

الغنوصية:

مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين ويقوم على أساس فكرة الصدور، ومزج المعارف الإنسانية بعضها مع بعض. ويشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها، وفيه تلتقي الأفكار القبالية بالأفلاطونية الحديثة وبعض التعاليم الشرقي كالمزدكية والمانوية، وكان له أثره الفلسفي في المسيحية والإسلام.

الفيثاغورية:

مذهب فيثاغورس الذي يرد الأشياء إلى العدد، فجوهرها أعداد وأرقام، والظواهر كلها تعبر عن قيم ونسب رياضية.

المشائية:

هي مذهب أرسطو، معتبرًا في منهجه ومبادئه الأساسية. وفي المعارف المستخلصة من هذه المبادئ بواسطة ذلك المنهج فيما يتصل بالطبيعة والإنسان وبالله، ومضافًا إليه ما ذهب تلاميذه في التاريخ القديم والوسيط.

والمشاءون هم تلاميذ أرسطو، وسموا كذلك لأن الأستاذ كان يعلم وهو يمشي في اللوقيون.

ميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة):

1- اسم كتاب لأرسطو يجيء في ترتيبه بعد كتاب الطبيعة، وقد أطلق عليه هذا الاسم (مشائي) من رجال القرن الأخير قبل الميلاد، وهو اندرونيقوس الروسي الذي جمع كتب أرسطو.

2- أحد أقسام الفلسفة. وقد اختلف مدلوله باختلاف العصور تبعًا لقصره على مشكلة الوجود أو المعرفة، ومن أهم دلالاته:

أ- عند أرسطو والمدرسيين، هو علم المبادئ العامة والعلل الأولى، ويسمى الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي.

ب- عند ديكارت، معرفة الله والنفس.

ج- عند كانط، مجموعة المعارف التي تجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده.

د- عند كونت، معرفة بين اللاهوت والعلم الوضعي تحاول الكشف عن حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها.

هـ- عند برجسون، معرفة مطلقة نحصل عليها بالحدس المباشر. كل التعريفات السابقة مصدرها المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية.

المراجع:

1- د/ إبراهيم مدكور- د/ يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة.

2- ارنولد توينبي – تاريخ الحضارة الهيلينية.

3- اميل برهيبة – تاريخ الفلسفة.

4- جورج سارتون، تاريخ العلم – دار المعارف 1970.

5- د/ ذكي نجيب محمود، أحمد أمين قصة الفلسفة اليونانية.

6- سمير حنا صادق، نشأة العلم، دار العلم للنشر 2002.

7- لطفي عبد الوهاب، اليونان القديمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة – الجامعية الإسكندرية.

8- لطفي عبد الوهاب، دراسات في العصر الهلنستي.

9- د/ محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي.

10- د/ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي.

11- د/ مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.

12- د/ نجيب بلدي، تمهيد لتاريخ مكتبة الإسكندرية.

13- هـ. ج ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1969.

14- وول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد1، الشرق الأدنى.

التعريف بالكاتب

حسام الحداد

باحث في شئون الاسلام السياسي صدر له العديد من الأبحاث والكتب وشارك في العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية

يعمل باحث ومحرر بالبوابة نيوز، بوابة الحركات الاسلامية، المركز العربي للأبحاث والدراسات، المركز الديمقراطي العربي، المركز الأوروبي لمواجهة التطرف والإرهاب

كتب ودراسات منشورة:

حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة

أحاديث تؤسس لدونية المرأة

الماركسية والنقد الأدبي

الوحدة العضوية في معلقة امرئ القيس

الذهنية التكفيرية.. أبو مصعب السوري نموذجا

نصر حامد أبو زيد وقراءة التراث

هوامش على تفسير الطبري

البخاري.. معركة قديمة في ثوب جديد

المعتزلة رواد التنوير الإنساني

قراءات في الإسلام السياسي

خطاب العنف والدم في الفقه الإسلامي

يصدر قريبا فقه الإمام الليث بن سعد

المحتوى

- إهداء..... 5
- المقدمة 7
-المعرفة كانت هنا.....11
- سر عظمة وشهرة مكتبة الإسكندرية القديمة.....13
* الفصل الأول:
- الإسكندرية القديمة.. نظرة عامة.....19
* الفصل الثاني:
- جامعة الإسكندرية القديمة وعلماؤها.....31
* الفصل الثالث:
- مكتبة الإسكندرية القديمة وتأسيس العلم الحديث.....69
* الفصل الرابع:
- حريق المكتبة.....91
- تعريفات أبيقورية.....107
- المراجع.....111
- التعريف بالكاتب.....112

جميع الحقوق محفوظة لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر.